المسيح (عليه السلام)

بين الناسوت واللاهوت

المسيح ﷺ

بين الناسوت واللاهوت

الدكتور

حسن الباش

الطبعة الأولى 2017

عدد النسخ 1000

عدد الصفحات 152 / القياس 24×17

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9933-905-21-7

حقوق الطبع محفوظة

دمشق – سوريا

موبايل: 00963 955 769145

ص.ب: 6303

www.daralkabas.com

kabas97@hotmail.com

الدكتور
حسن الباش

المسيح (عليه السلام)
بين الناسوت واللاهوت

2017

مقدمة

المسيح(عليه السلام) من أكثر الأنبياء الذين وقعت حولهم نقاشات وخلافات، بل إنه أكثر نبي تعرض للتقول، وحرفت حقيقته عن مسارها.

ومنذ بداية القرن الرابع الميلادي، بدا أن قسطنطين إمبراطور الروم فرض ديناً جديداً وعقيدة جديدة لا تمت للمسيح بصلة، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا ما زالت تفرض المسيحية الغربية أفكارها العقيدية على كافة المسيحيين في العالم.

وحتى نصحح المسار والأخبار أردنا من هذا الكتاب إعادة الأمور إلى نصابها وإلى حقيقتها مستندين على آيات القرآن الكريم ومحللين ما جاء في كافة الأناجيل المعتمدة لدى المسيحية المعاصرة وغير المعتمدة.

إن غايتنا الأساسية تكمن في فصل العقيدة المسيحية الغربية عن نصرانية من آمن بالمسيح (عليه السلام) نبياً ورسولاً وبشراً. فكلاهما مختلفان اختلافاً جذرياً في طبيعة السيد المسيح (عليه السلام)، وفي إنجيله، وحياته ودعوته ونهايته على الأرض وحتى أن اختلافات كبيرة تقع حول آل عمران وأم مريم، ومريم والحواريين، إضافة إلى اختلافات تاريخية كبيرة سنراها عندما نقارن النصوص ببعضها ومن ثم نقارنها بالواقع التاريخي الذي شهد ولادة المسيح (عليه السلام) ووجوده ودعوته وانتهاء هذا الوجود على الأرض.

وعندما نلاحظ تطور العقيدة المسيحية كما شاء لها البابوات ورجال اللاهوت نرى سيلاً من البحوث والدراسات التي تتناول مفهوم الألوهية ومفاهيم التثليث والطقوس والمقدسات والصلوات والكنائس ورجال الدين، سنرى في كل بلاد الدنيا

مـن تصـدى للحديث عن المسـيح الإله والمسـيح ابن الله والمسـيح التاريخـي المختلف عن المسيح المعروف.

وعلى الرغم من ذلك ما تزال هناك عشرات الحلقات المفقودة التي لم يكتشفوا سرها ولم يتوصلوا إلى إيجادها والإجابة عن تساؤلاتها وأسئلتها، ومن جانب آخر رأينا عشرات البحوث التي كتبها كتَّاب وباحثون مسلمون حول المسيح (ﷺ) والمسيحية، فمنها ما كان انفعالياً عاطفياً ومنها ما كان جافاً خانقاً ومنها ما كان أقرب إلى الشتم والسباب وبعيداً عن الموضوعية.

إن القرآن الكريم جاء على ذكر مريم وعائلتها، وعن المسيح (ﷺ) وحركته الدعوية، وتناولت آيات القرآن ولادته ومعجزاته وحواراته وحياته منذ المهد وحتى الرفع إلى السماء، ولو جمعنا هذه الآيات ورتبناها ترتيباً تاريخياً حسب السابق واللاحق من الشخصيات والأحداث لحصلنا على كل متكامل عن حياة هذا النبي وإنجيله ومراحل حياته على الأرض.

ولن نكون جاحدين إزاء ما جاء في الأناجيل العديدة التي توافقت في بعض كلامها مع القرآن الكريم. ولكننا لن نتوقف عند ذلك ونخضع لهذه الجزئيات من التوافق، إنما سبيلنا أن نعرف كل شيء ونضع موازين المقارنة بين النصوص ثم نحتكم إلى العقل والمنطق والحجة حتى نصل إلى الحقيقة التي غيبوها وساقوا العقول من خلالها كالخراف أو كقطيع من الحيوانات البشرية.

إن مقياسـنا هـو القـرآن الكريـم أولاً، لأنـه آخـر كتـاب سـماوي أنزل بعـد كتاب موسـى (ﷺ) الحقيقـي، وإنجيـل عيسـى (ﷺ) الحقيقـي، ولـن ننتظر كتاباً سـماوياً ينـزل من السـماء بعد أن ختم الله الرسـالات برسـالة محمـد (ﷺ) وبعـد أن ختم تنزيل الكتب بكتاب القرآن الكريم.

وإذا كان قد أجيز لنا أن نطلع على المصادر المسيحية الأولى فإننا سنناقشها بشكل موضوعي ولعل أفضل سبيل لمناقشتها هو الوقوف عند حملها وتحليلها تحليلاً عقلياً حتى

نصل إلى قناعة واقتناع عقليين دون أي هوىً أو تعصبٍ أو انحياز، على أية حال وبعيداً عن التفصيلات العقدية نرى أن المنطقة العربية وحدها شهدت النبوات جميعها بدءاً من آدم ونوح وإبراهيم وانتهاءً بموسى وداود وسليمان وإلياس وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وهذا ما تعترف به الشعوب التي دانت باليهودية أو المسيحية أو الإسلام. ونعتقد أنه من حقنا أن ندافع عن هذه النبوات ونبين كل المحاولات التي شوهتهم وشوهت رسالاتهم.

ومن الملاحظات الهامة في هذا السياق أن المسيح (عليه السلام) بعث لبني إسرائيل وهم إذ انحرفوا عن عقيدة موسى، والأنبياء كانوا خاضعين لقوى كبرى كالرومان مثلهم مثل بقية القبائل والمجموعات البشرية التي تسللت إلى فلسطين في عهد من العهود واستوطنوها رغم أهلها، وهذه الأمور لا شك أنها تحدد الكثير في اتجاه دراستنا حول السيد المسيح (عليه السلام) وحول بيئته وأسرته ودعوته وحواراته وصراعه مع قومه من بني إسرائيل، ونهايته على الأرض ورفعه إلى السماء.

لقد عاش السيد المسيح (عليه السلام) في بيئتين، بيئة يهودية وبيئة وثنية رومانية لكن الاتجاه الدعوي الذي حدده الله له كان نحو اليهود الذين انقلبوا على الموسوية واتبعوا ما يسمى باليهودية وحرفوا مسار ما جاء به موسى (عليه السلام) من تعاليم وما نزل عليه من عقيدة وتشريع، لذلك نرى المسيح (عليه السلام) يكمل شريعة الأنبياء ولا ينقضها وهذا ما أكده القرآن الكريم وأكدته بعض الأناجيل.

لقد أنزل الله على المسيح (عليه السلام) كتاباً اسمه الإنجيل وآمن به عدد من اليهود الذين رفضوا البدعة اليهودية وأرادوا أن يسيروا على هدي موسى (عليه السلام) الأصلي، وكذلك هدي عيسى (عليه السلام)، وقد رباهم المسيح (عليه السلام) وأطلق عليهم الحواريين، وكان منهم برنابا ومتى الأول وبطرس وأصبحوا اثني عشر حوارياً لقنهم المسيح (عليه السلام) أصول النصرانية التوحيدية الخالية من التثليث وألوهية البشر، كما أرادها المسيحيون الغربيون أيام قسطنطين.

أنزل الله على المسيح (ﷺ) الإنجيل، لكن هذا الكتاب فُقِد وأضاعوه أو أخفوه عن أعين الناس حتى يضلّوا ويتبعوا ما أشاع هؤلاء اليهود من كلام حول ألوهية البشر.

إننا إذ نتناول بالدراسة شخصية هذا النبي نضع في اعتبارنا أن المسيح (ﷺ) ابن المنطقة العربية، فليس هو رومانياً وليس هو قبطياً وليس روسيّاً ولا أميركياً، ثم إنه نبي كباقي الأنبياء بعثه الله ليدافع عن ديانة التوحيد في مواجهة الانحراف والوثنية، وإذا كان قد وُلِدَ كمعجزة فإنه مثل آدم الذي خلقه الله من دون أب أو أم، وليس هذا على الله بعزيز، وإذا كان قد منحه قدرة عل إحياء الموتى وصنع المعجزات بإذن الله، فإن الله سخر لكل نبي معجزات تليق بزمانه، فهذه عصا موسى (ﷺ) تنقلب إلى حية تسعى، وهذه ناقة صالح أُنزلت ولا أحد يعرف لها أصلاً سوى المعجزة، وهذا كبش إبراهيم (ﷺ) وكذلك قرآن محمد (ﷺ)، ومثل ذلك إسراء النبي (ﷺ) ومعراجه في بضع ليلة.. وما حل بفرعون وقومه، فالمعجزات كثيرة، ولكل نبي معجزاته التي تناسب عصره وظرفه.

لقد وُجِد المسيح (ﷺ) في أرض فلسطين التي كانت محتلة ومستعمرة من قبل الرومان. وكان عصره عصر الوثنيات الرومانية وبعضٍ من عقائد اليهود المحرفة لذلك فقد جرت مواجهة حتمية بينه وبين اليهود والرومان، وفي البداية انتصرت وثنية الرومان وانحرافات اليهود على المسيح. وبدل أن يبقى الناس على عقيدة نبيهم المسيح (ﷺ) راح الكهنة يحرّفون هذه العقيدة حتى بلغت أوجها لدى بولس الذي قال بألوهية المسيح وصلبه وبعثه من بين الأموات وما إلى ذلك من اختراعات اخترعها اليهود الفريسيون وليس للمسيح (ﷺ) دخل في تأليفها ونشرها.

ومضت عدة عقود قبل أن تظهر الأناجيل المعتمدة وغير المعتمدة. وإذا بنا نفاجأ بأن هذه الأناجيل كتبها كتّاب يدّعون أنها كلام الله وهي ليست من كلام الله، ووقعوا بما وقع فيه اليهود من تحريف وتقوّل على الله لا يليق به وبجلاله.

وإذا أردنا التقيّد بالعنوان الذي عنونّا به هذا الكتاب لا بد لنا أن نسأل هل المسيح (عليه السلام) بشر رسول ونبي، وما هي الأدلة على ذلك؟ ماذا قال الله عز وجل في قرآنه المجيد بشأن هذا النبي، وإذا كان كما يدعي المسيحيون أن المسيح (عليه السلام) إله فما هي حججهم وما هي أدلتهم على ذلك؟

إذاً نحن أمام حوار عقدي تاريخي ديني وعلمي قد يطول وقد يقصر. وعلينا الصبر الطويل والاستماع للآراء المختلفة حول المسألتين علّنا نصل في النهاية إلى قناعة ما، تصحح الخطأ وتنير الطريق حتى نهتدي جميعاً إلى السبيل الحق والدرب الحق الذي يهدي إليه القرآن الكريم.

إن حياة المسيح (عليه السلام) من الولادة وحتى رفعه إلى السماء حافلة بالأحداث وبالتدخل الإلهي والمعجزات، وإذا ما وضعنا أمامنا المقارنة الصحيحة بين نصوص القرآن الكريم والأناجيل المؤلفة وجدنا الفرق شاسعاً ووجدنا اختلافاً في العقيدة والأحداث والبدايات والنهايات ووجدنا أن بعض من تناولوا حياة المسيح تمثلوا الأساطير وثقافات الأمم الأخرى حتى يُضفوا هالة مادية معينة على ما قالوا به عن ألوهية المسيح المزعومة وما يدور حول ذلك.

إن تطور المسيحية منذ أن رفع المسيح (عليه السلام) يدل دلالة قاطعة على أن ما تمثله المسيحية الغربية اليوم يبتعد ابتعاداً كلياً عن عقيدة المسيح، خاصة أن الغرب المسيحي يتحمل المسؤولية كاملة في اختراع هذه المسيحية منذ المؤتمر الأول الذي عقده قسطنطين في نيقية في الثلث الأول من القرن الرابع الميلادي.

إن ذلك يدفعنا أن نبيّن عقيدة المسيح الحقة التي لا تختلف عن عقيدة اي نبي من أنبياء الله، فالجميع موحدون يؤمنون بإله واحد والملائكة، واليوم الآخر وكلهم مكلّفون بالرسالة والدعوة دون مقابل دنيوي، وجميعهم ينهل من نبع واحد هو نبع إلهي واحد. لا فضل لنبي على آخر في الجوهر (لا نفرق بين أحد من رسله) البقرة آية285.

إن المؤتمرات التي عقدها قسطنطين ومن جاء بعده هي التي رفضت بقية الأناجيل وأبقت على الأناجيل الأربعة المعروفة لدى المسيحية. فحرقت ما حرقت، واستبعدت ما استبعدت لتظل هذه الكتب الأربعة معتمدة لديهم ولأنهم تنبهوا لبعض الفقرات التي فهموها على أنها تشير إلى تأليه المسيح اعتمدوها ورفضوا غيرها. ولو أنهم تنبهوا لعشرات الفقرات الأخرى لأدركوا أن المسيح (عليه السلام) عبد الله ونبي وليس إلهاً أو ابن إله، كما ظنوا وتوهموا.

وهذه المؤتمرات هي التي قررت وثنية المسيحية الغربية فاعتبرت المسيح إلهاً وصوّروه وجسّدوه وافترضوا أنه صُلِب ثم قام من بين الأموات.

ثم إن هذه المؤتمرات اخترعت ما يسمى الروح القدس على الرغم من أنهم حتى هذه اللحظة لم يشرحوا ما فهموه عن الروح القدس. وأخيراً اخترعوا ما يسمّى التثليث، وما يسمّى الأقانيم فقالوا ثلاثة في واحد ولم نفهم ماذا يعني هذا التناقض.

وزيادة في البلبلة انقسموا إلى كنائس بعضها يُقرُّ أن المسيح ذو طبيعة واحدة وبعضهم قال بأنه ذو طبيعتين إلهية وبشرية وخاضوا في تقسيمات وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، وتشعبت الأمور وتوسعت فإذا بنا نرى بعض المذاهب تناقض الأخرى في مسائل عقدية دقيقة وحسّاسة.

وانشقت على ضوء ذلك الكنائس فهناك الكاثوليكية والأرثوذكسية والمارونية والبروتستانتية وهناك شرقية وغربية، وهناك من الفرق الأخرى ما استُبعد وحورب بالقوة، وهناك من الكهنة من قُتل وعذّب لأنه رفض تأليه المسيح ونادى بنبوته ورسالته.

لقد انطلق المسيح في فلسطين يدعو إلى ديانة التوحيد التي سار عليها الأنبياء قبله. انطلق من القدس فإذا بنا نرى روما تسرق مكانة القدس، وإذا بنا نرى المرجعية الدينية يسرقها بابوات غربيون نصفهم من اليهود.

يصبح المسيح إيطالياً بعد أن كان ابن المنطقة العربية، وتصبح النصرانية مسيحية ويسيّسون هذه العقيدة فتصبح المسيحية الغربية مرهونة للتعصب والعنصرية وشن

الحروب على بلاد المسيح وأهله منذ بداية حروب الفرنجة وحتى هذا اليوم وحتى نعيد الحق إلى نصابه نقول إن المسيح ابن البيئة العربية وُلد فيها وترعرع وأن عقيدته هي عقيدة جميع الأنبياء الذين عرفناهم وقرأنا عنهم في القرآن الكريم. وأن الأنبياء أبناء دائرة واحدة سار التاريخ النبوي بهم وإذا كل نبي يأخذ مكانته في هذه الدائرة حتى جاء رسول الله (ﷺ) وأغلقت الدائرة به، لذلك بشّر المسيح (عليه السلام) به كونه خاتم الرسل والأنبياء.

فإذا رفض المسيحيون الغربيون رسالة محمد (ﷺ) فإنهم يرفضون ما بشّر به النبي عيسى (عليه السلام) لهذا كان لا بد لنا من تناول إنجيل برنابا الذي يرفضون الاعتراف به ككتاب مقدّس، أو كإنجيل أملاه المسيح على تلميذه برنابا.

على أية حال فإن ما نريد قوله في هذا المبحث هو دعوة للعودة إلى الحق فلن يفيدكم الاستكبار والعناد. فالمسيح نبي مرسل بشر ورسول وليس إلهاً مقتولاً كما تقولون، ولن يفيدكم هذا القول ولن يكون هذا القول إلا ضلالاً وابتعاداً عن الحقيقة.

اللهم إنا نؤمن بجميع الأنبياء إخوة من دائرة واحدة، وإنّا نؤمن كما آمن المسيح بأننا عبيد الله ولا يُشرَك بعبادته.

اللهم أعنّا لنقول الحق والحقيقة ولا نريد على ذلك أجراً أو مالاً إنما نريد أن ندافع عن أنبياء الله جميعهم بما يستحقون من كرامة ورفعة وتبجيل واحترام.

اللهم نحن عبيدك وأبناء عبيدك. اللهم اقبل منا عبوديتنا فهي أشرف صفة نحتاجها. اللهم أعنّا ونوّر قلوبنا وعقولنا وأبعد عنا الخطأ والزلل. واجعلنا وسائل من الحق تنطق بالحق وتدافع عن الحق حتى يظهر الحق.

الفصل الأول

فلسطين أيام ولادة المسيح

فلسطين عربية منذ فجر التاريخ، تشكّل جزءاً من سورية الطبيعية، بل هي القسم الجنوبي من سورية، لا تنفصل عن محيطها الجغرافي والسكاني، وحسب الألواح التي اكتشفت في تل العمارنة في مصر كانت تسمى فلسطين أرض كنعان، وتشير تلك الألواح إلى حملات قام بها الفراعنة على عدة مراحل على أرض كنعان.

وحسب المصادر التاريخية فإن مجموعة من القبائل العربية هاجرت من اليمن والجزيرة العربية في الألف الثالث ق.م إلى هذه الأرض وسكنتها وعمرت فيها المدن والقرى المحصنة، واستخدمت البحر في تجارتها مع سواحل البحر المتوسط ومن أهم المدن التي عمرت منذ ذلك الوقت مدينة القدس وأريحا والخليل ويافا وعكا وبيسان.

وقد توصل الآثاريون الذين أجروا تنقيبات في بعض المدن التي تحمل أسماء كنعانية أصيلة مثل أريحا، وبيت شان، ومجدو، وجازر، إلى إرجاع تاريخ هذه المدن إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد.

وقد عثر في حفائر تليلات غسول الواقعة شمال شرق البحر الميت في سنة 1929م وما بعدها على آثار أقدم مدينة كنعانية في فلسطين اي اقدم من أريحا وجازر وقد وجدت في آثار تل العمارنة في مصر كتابات تشير غلى حملات قام بها الفراعنة على أرض كنعان.

تمتاز فلسطين بطول ساحلها وبطولها وقلة عرضها، وهذا ما منحها إطلالة واسعة على البحر ومنه إلى التجارة على شعوب أخرى.

ولمّا كانت فلسطين تتوسط الأرض العربية فقد تصارعت القوى القديمة على بسط نفوذها عليها.

فمن بداية منتصف الألف الثالث ق.م تعرضت لعدة غزوات قام بها الفراعنة حتى عام 1300 ق.م حيث تعرضت لغزوتين، الأولى قدمت من البحر وهي غزوة يونانية إغريقية، وغزوة تسرب قام بها بدو إسرائيليون قدموا من سيناء، وكان المؤرخ هيردوس أول من ذكر اسم فلسطين بقوله ذلك الجزء من سورية المعروف بفلسطين.

ويتفق الخبراء والمؤرخون على أن هؤلاء الفلسطينيين اندمجوا بالمجتمع والشعب الكنعاني بسرعة حيث لم يمر قرن واحد على وجودهم في فلسطين حتى ذابوا كلياً بالشعب الكنعاني واقتبسوا لغته وثقافته[1].

وقد تعرضت فلسطين أيضاً منذ 1300 ق.م إلى تسرب إسرائيلي جاء من سيناء، وقد استقر الإسرائيليون في المناطق المرتفعة بعيداً عن المدن الفلسطينية المستقرة والمحصنة.

وظل هؤلاء بعيدين عن مدن الساحل الفلسطينية وكذلك ظلوا بعيدين عن مدينة القدس حتى القرن العاشر والتاسع ق.م، حين بعث الله النبي داود ملكاً على القدس يحكم بحكم النبوة على اليبوسيين، وقسم من بني إسرائيل، وظلّت هذه المملكة قائمة في عهد النبي سليمان. ويرى الباحثون والآثاريون أن هذه المملكة كانت صغيرة جداً، وبعد موت النبي سليمان انقسم أسباط بني إسرائيل وصاروا يتحاربون لمدة طويلة من الزمن، حتى بدأ التحرير البابلي وتخلّص الشعب الفلسطيني من بني إسرائيل لمدة سبعين عاماً حتى استطاع الفرس القضاء على الدولة البابلية بالتعاون مع المنفيين من بني إسرائيل وعاود هؤلاء الكرة على فلسطين، ولكن ظلوا أقلية ليس لهم أي تأثير سياسي أو ديني.

(1) الدكتور أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 202 – 203.

ثم تعرضت فلسطين لغزوة جديدة عام 330 ق.م على يد الاسكندر المقدوني وخضعت كغيرها من بلاد الشام ومصر لنفوذه، لكن موته المفاجئ قسم مملكته إلى سلوقيين وبطالسة حيث كانت فلسطين تحت سيطرة السلوقيين إلى أن جاء الرومان واحتلوا فلسطين وبلاد الشام كلها ومصر.

وكان من طبيعة الحكم الروماني أنهم ينصبون ولاة لهم على الولايات المسيطر عليها وكانت فلسطين تحكم من قبل والٍ مثلها مثل الشام، وحلب ومصر، وغيرها.

في عهد ولادة المسيح يحكم فلسطين الملك هدريان، وتروي الأناجيل شيئاً من سيرة هذا الملك زمن ولادة المسيح (عليه السلام) ثم مات هيرودس أو هدريان والمسيح ما يزال طفلاً، ثم تولى الملك من بعد هدريان ابنه أرخيلاوس وتقع سيرة المسيح في هذا العصر الذي كان أرخيلاوس يحكم فلسطين.

أما الواقع الاجتماعي الفلسطيني في ذلك الوقت، فقد شهد حكماً رومانياً قوياً وكان سكان فلسطين آنذاك في غالبيتهم من العرب الكنعانيين وهناك قلة من اليهود كانوا يسكنون في بعض جوانب بيت لحم ومدينة القدس، وبعض أطراف نابلس والخليل.

كانت فلسطين قد شهدت آنذاك نوعاً من الاستقرار الاجتماعي كون الرومان يحكمون البلاد ولهم جيوشهم التي كانت تقمع أي ثورة تقوم.

وظل الشعب الفلسطيني يهتم بالزراعة والتجارة ومن المعروف أن الرومان كانوا يرهقون الشعب بالضرائب المتواصلة وخاصة على الزرّاع والتجّار.

ومع ذلك لا بد أن نذكر أن هيرودس أقام المدن الجديدة في فلسطين والأسوار وكان الرومان راضين عنه، ومن الجدير ذكره أن هيرودس عربي أدومي وقد ظل ينفذ مشيئة الرومان طوال حكمه على فلسطين وقد امتد هذا الحكم حوالي 30 سنة.

من جانب آخر فقد أشار عدد من المؤرخين إلى هذه الفترة ومنهم سيوتونيوس مؤرخ سير الأباطرة في القرن الثاني الذي أشار بدوره إشارة غامضة إلى ظاهرة المسيح

والمسيحية حيث قال لقد طرد كلوديوس اليهود من روما لأنهم ما انفكوا يُحدثون الشغب والاضطراب بتحريض من كريستوس أي (المسيح) فالمسيح إذاً ليس إلا محرضاً يهودياً على الشغب مثل غيره من المحرضين.

ولا شك أن ظهور المسيح في هذه الفترة يعني ظهوره في وقت كان فيه اليهود يتألفون من مذاهب وفِرَق حاول أكثرها تحريف كتاب النبي موسى والغرق في الفساد والإفساد.

فاليهود من فريسيين وصدوقيين لم يستطيعوا إدراك رسالة المسيح على أنها رسالة المسيح لأن يسوع الناصري لا يمت بصلة إلى الصورة التي صوروها لأنفسهم عن المسيح.

فالله في العقيدة اليهودية هو الخالق الحاكم وهو الذي يصنع التاريخ وإسرائيل هو شعب الله، وقد أملى الله على هذا الشعب إرادته وشريعته وحياته وقد اختار الله شعبه وعقد معه عهداً ولكنه عهد مشروط فالله يحكم على شعبه حسب طاعته أو عصيانه وهكذا فتاريخ هذا الشعب يسيّره الاختيار والعهد والوعد والشريعة.

وقد انكمش وتحجر الإيمان في قلوب اليهود وظلّوا هكذا حتى في زمن المسيح وكان في القمة طبقة رجال الكهنوت من الصديقيين نسبة إلى جدهم صدوق الكاهن الأكبر زمن سليمان حسب ما قالت التوراة، وهذه الطبقة ترفض ما لم يرد حرفيّاً في الشريعة وترفض كذلك كل اجتهاد وتجديد، أما امتيازاتهم الكنسية فهي وراثية، والصدوقيون لا يهمهم عقيدة ولا تشريع فهم ممن كانوا يتعاونون مع أي استعمار خارجي لأرض فلسطين فتعاونوا مع الفرس ثم مع الفراعنة ثم مع الرومان ثم مع اليونان فالرومان وهكذا..

أما الفريسيون ويسمون بالأتقياء أو المنفصلين، فقد منحهم الحاكم الروماني حرية العيش حسب تعاليم التوراة العبرانية بصرامة وشدة، وعليهم أن يلتزموا بالشريعة التزاماً حرفياً دون أي تنازل كي يطبقوها على كل مسلك حياتي بوحي منطلقين من تفسيرات تبريرية ملزمة ليجعلوا الحياة اليومية مجموعة طقوس صغيرة شكلية ضيقة[1]، وقد أشارت

(1) روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات، ص 108.

الأناجيل جميعها إلى حوارات دارت بين المسيح وبين الفريسيين وجاء في الأناجيل توبيخ مستمر للفريسيين الذين حاربوا المسيح حتى آخر يوم في حياته على الأرض.

إلى جانب الفريسيين والصدوقيين كانت مجموعة يُطلق عليها الأسينيين الذين ألقت عليهم الأضواء اكتشافات البحر الميت في دير قمران عام 1947 م، وكانت تلك المخطوطات الهامة التي تعود غلى القرن الأول ق.م وثائق تنبئ عن تشكل طائفة قد انفصلت عن العالم لتعيش في الأديرة على ملكية جماعية حياة الرهبنة بما تقتضيه من التزامات أخلاقية صارمة مبنية على تفسير ثنائي يقتضي الانقطاع عن العالم لتكوين شعب الله الحقيقي، والعيش على أمل رؤيوي في انتظار رب العدالة.

وهذه التجربة الخلاصية ذات الجذور الحية القوية لدى شعب فلسطين منذ ظهور المسيح كانت قد تجلت كذلك كما سبق عند المكابيين حينما بشّر دانيال بمجيء المسيح ابن الإنسان، وتأخذ طائفة الغيورين كذلك بالروح الخلاصية ولكن على نحو مختلف كل الاختلاف عن الأسينيين.

أما يسوع فقد ظهر بمعزل عن كل هذه الطوائف، والشخص الوحيد الذي يرتبط به هو (يوحنا المعمدان) (يحيى) الذي يتيح لنا إنجيل لوقا تحديد زمن ظهوره في السنة 15 لحكم القيصر طيباريوس أي عام 28 أو 29.

وعندما نصل إلى دراسة الصراعات التي دارت بين المسيح وهذه الفئات سنورد ما حرفته عن عقيدة كتاب النبي موسى (عليه السلام) ومدى ما استطاع المسيح تغييره أو نقده من عقائدهم.

عائلة المسيح (عليه السلام):

امرأة عمران، عمران، زكريا، يحيى، مريم، وبقية الأقرباء.

حين نفتش عن عائلة المسيح وصلات القربى بينها وبين الآخرين لا بد أن نضع في اعتبارنا النص القرآني والأناجيل، وما جاء من أحاديث وروايات، وما دُوّن في بعض

المراجع المسيحية. ثم لا بد لنا من الحديث الواسع عن النبي زكريا والنبي يحيى ونهايتهما حسب كل المصادر.

وإذا بدأنا بإيضاح العلاقة بين المسيح وأمه وجدّته وجدّه، وبين زكريا وزوجته وابنه يحيى في القرآن الكريم، تتصدر حديثنا سورتان كبيرتان من سور القرآن الكريم هما آل عمران ومريم.

يقول تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

فالآية تورد آل عمران من بين من اصطفى الله، وقال المفسرون إن عمران هو أبو موسى وعمران أبو مريم وما بين الاثنين ثلاثون جداً، ولكن والد مريم من نسل عمران الأول، ولم يكن عمران الأول نبيّاً ولم يكن عمران والد مريم نبيّاً، وتقول الروايات أن عمران توفاه الله وكانت امرأته حاملاً أي حاملة بمريم.

أما أمها أي امرأة عمران فكان اسمها حَنّة وهي امرأة صالحة معروفة بصلاحها لدى بني إسرائيل.

ومن أقاربها زكريا النّبي وقد بين القرآن الكريم العلاقة بينهم عندما تحدث عن كفالته لمريم، ولكن القرآن الكريم لا يخبرنا ما هي نوعية القرابة.

وتقول المصادر المسيحية أن امرأة زكريا كانت خالة مريم أخت أمها، وبمعنى من المعاني فإن زكريا زوج خالتها ويسمونها أليصابات.

وكذلك فإن الصلة بالقرابة تصل النّبي يحيى باعتباره ابن النّبي زكريا، ولم يرد ذكر آخرين من اقارب مريم والسيد المسيح سوى ما أوردته الأناجيل عن المسمّى يوسف النجار، وكان حسب قول الأناجيل خطيب مريم ولم يرد ذلك في القرآن الكريم.

وهناك آراء لكتّاب وباحثين غربيين يرون أن المسيح التاريخي يقول لنا إن يسوع هو الابن الأول لأسرة حاكمة ملكية متحدرة من نسل داود، ويقولون إن المسيح كان مطالباً

(1) آل عمران، الآية 33.

بعرش أبيه، ويرون ايضاً أن يسوع قبل أن يموت بوقت قصير أقام حكومة إقليمية مع اثني عشر مسؤول إقليمي، وترك أخاه جيمس على رأس هذه الحكومة الوليدة وقد أصبح جيمس القائد غير المنافس للحركة المسيحية المبكرة[1].

ويرى باحثون آخرون أن المسيح تزوج من مريم المجدلية وأنجب منها أولاداً، تكاثروا، ومع الاضطهاد الذي لقيه المسيحيون هرب أولاد يسوع وأحفاده حتى وصلوا إلى فرنسا في قرية رين لي شاتو[2].

لن نناقش هذه المسائل باعتبارها آراء قد تصيب وقد تخطئ، وما يهمنا في هذا البحث هو دراسة شخصية المسيح منذ الحمل وحتى الرفع إلى السماء، وكل ما يتعلق بحياته من عقيدة وظروف وحوارات وإنجيل.

وقفة أولى مع المقدمات:

حينما نتحدث عن المسيح (عليه السلام) لا بدأن نتحدث عن أمه وجدته، ولا بد أن نتحدث عن زكريا ويحيى ولا بد أن نعيد قراءة التاريخ بروح نقدية عالية.

ومنذ البداية لا بد أن نتوقف عن بعض الآيات في سورة مريم وبعض الآيات في سورة آل عمران.

هذه الآيات ترشدنا إلى التسلسل التاريخي للأحداث التي مهدت لظهور السيد المسيح، ولا يمكن أن نفهم حياته دون الرجوع إلى المقدمات.

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

(1) جيمس وطابور: سلالة يسوع، ص 8، دار قتيبة للنشر، دمشق 2008.

(2) ريتشارد لي، الإرث المسيحي، ص 43، دار صفحات، دمشق 2009.

(3) آل عمران، الآية 25.

فالآية تشير إلى أن امرأة عمران دعت ربها أن يرزقها ولداً لما أسنّت واشتاقت للولد. وكانت قد أحست بالخجل، فنذرت ما في بطنها ليكون خادماً لمعبد الله، وكان المحرر عندهم إذ حُرر جُعل في المعبد يخدمه ولا يبرح مقيماً فيه حتى يبلغ الحلم، ثم يتخير فإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أحب اختار الإقامة فيها، ولا يجوز له بعد ذلك الخروج منها، ولم يكن أحد من أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم إلا ومن أولاده من هو محرر أي (موقوف) لخدمة المعبد ولم يكن يُحرر للمعبد إلا الغلمان ولا تصلح الجارية أو البنت لخدمة المعبد لما يصيبها من الحيض والأذى، وأوقفت امرأة عمران ما في بطنها لخدمة المعبد وسألت ربها أن يتقبل منها ما وقفت.

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

وكانت ترجو أن يكون المولود ذكراً، وجاء في الروايات أنها لما ولدت ابنتها لفتها بخرقة، وأتت بها لأحبار سدنة المعبد وقالت دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم، وجاء في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "ما من مولود يولد إلا مسّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها" رواه البخاري.

فمريم والمسيح أعاذتهما أم مريم من الشيطان بدعائها وقد استجاب الله لها.

يقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

وقد تقبلها الله سبحانه وتعالى، وتمت رعايته لها بشكل حسن، وكفّلها زكريا.

---

(1) آل عمران، الآية 36.

(2) آل عمران، الآية 37

أما لماذا زكريا، فقد روى غالبية المفسرين أن زكريا قال للأحبار: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا: لا.. حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، والقوا اقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت فلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المعبد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وقد ضمّها زكريا إليه بكل رضا ومحبة وهو نبيّ الله الذي اختاره ليكون مربيها.

وعاشت مريم طفولتها في المعبد تتعبد لله وتنشغل بالعبادة عن الناس حتى أصبحت صبية، ونتوقف هنا لنتحدث عن النبي زكريا كما ورد في سورتي مريم وآل عمران وبعض السور الأخرى.

إذا أردنا تسلسل الأحداث التي كان النبي زكريا محورها لا بد أن نشير إلى أن النبي زكريا نبيٌّ مرسل بنص القرآن الكريم، لا كما قالت الأناجيل إنه كان كاهناً للرب، فكلمة كاهن لا تصل مقام النبوة.

يقول تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

وتبدأ القصة عندما دخل النّبي زكريا على مريم فوجد عندها رزقاً، وعندما أجابته بأن هذا الرزق من الله أيقن أن الله قادر على أن يحدث المعجزات فدعا ربه بأن يرزقه ولداً يرث النبوة ويتابع الرسالة من بعده.

يقول تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[3].

(1) الأنبياء، 89-90.

(2) الأنعام، الآية 85.

(3) آل عمران، الآية 38.

ويقول تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا.... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

إذاً بدأت القصة بدعاء زكريا لربه بأن يهبه ولداً أو ذرية صالحة طيبة، وبعد دعائه ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

ويجري حوار بين زكريا وبين رسل الله وقد أجمع المفسرون أن جبريل (عليه السلام) هو من بشّره بالغلام.

ونعود إلى الآيات القرآنية التي خصت زكريا ويحيى في سورة مريم لنرى تفصيلات هامة توضح لنا بعض الأمور.

يقول تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[2].

وترتيب قصة زكريا كما نفهمها من القرآن الكريم تأتي على الشكل التالي:

في سورة آل عمران يفاجأ النبي زكريا بوجود رزق من الله لدى مريم فيدعو ربه أن يحدث معجزة معه، ولكن كيف تمت أحداث ذلك؟.

(1) آل عمران، الآية 39.

(2) مريم، 1-15.

يأتينا الجواب مفصلاً في سورة مريم.

فزكريا يدعو ربه دعاءً خفياً بصمت، ولم يرفع صوته حتى لا يسمعه الكهنة من بني إسرائيل، فلو سمعوه يدعو لسخروا منه لأنه يطلب شيئاً مستحيلاً بنظرهم وحسب مقاييس البشر، ويبدو أن دعاءه لربه خفية فيه صفاء خالص وفيه صلة خالصة مع الله سبحانه وتعالى:

وقال في دعائه: يا رب إني قد وهن العظيم مني وكبرت كثيراً وما من ولد يحمل الرسالة من بعدي، إذاً هو يوضّح في دعائه ما هو فيه من الكبر والشيخوخة ويقول: ربي لا تخيبني لأنني تعودت منك الجود والإجابة وأنت يا الله أكرم الأكرمين.

ثم يقول: إني خفت الفاسدين من بني إسرائيل إذا ما متُّ أن يحرفوا الناس عن عقيدتهم، وقد خاف زكريا أن لا يحسنوا خلافته على قومه ويبدلوا عليهم دينهم، فهب لي ولياً ولداً صالحاً مرضياً من فضلك وكرمك وجودك، ويرثني في النبوة والدعوة والعلم والحكمة، وقد أراد زكريا وراثة العقيدة لا وراثة المال، وقوله: من آل يعقوب يعني أيضاً وراثة النبوة، ودليل قوله: (من) وهي للتبعيض فهو لا يريد أن يرث كل شيء من آل يعقوب إنما يرث جزءاً منهم وهذا الجزء هو النبوة.

وقد اخْتُلِف في المراد من قوله: من آل يعقوب ولسنا بحاجة للحديث عن هذا الاختلاف. استجاب الله لزكريا (ﷺ)، وقال له الملاك: إنّا نبشّرك بغلام ذَكر سماه الله يحيى لأنه شرّفه وأحياه بالإيمان والعلم، وقد سماه الله بذاته تشريفاً وقيل سمّاه يحيى لأنه حيي بين أبٍ شيخ وأمٍ عجوز ولم يكن أحد من بني إسرائيل قد سُمّي بهذا الاسم.

فتعجب زكريا من هذه الاستجابة السريعة واستفهم عن كيفية حدوث الغلام واستبعد ذلك من حيث العادة واستعظم ذلك وتعجب من قدرة الله لا استبعاد أو استنكار لأنه بلغ من الكبر الكثير من الضعف والوهن وكانت امرأته عاقراً.

فأجابه ملاك الله جبريل: بأن ذلك على الله هيّن وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً فلا تتعجب.

وحتى تكون حجته قوية أمام قومه طلب من ربه علامة مؤكدة حيث قال: ربِّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً. فأجابه الملاك قال له: آيتك على حمل امرأتك عدم قدرتك على الكلام مع كونك سليماً من عاهة الخرس والبكم لمدة ثلاثة أيام.

وعندما خرج على قومه من محرابه رمز لهم وأشار بالرمز وكان الناس ينتظرونه من وراء المحراب حتى يفتح لهم فيدخلون ويصلون، فخرج إليهم زكريا وقد تغيّر لونه فأنكروا ذلك عليه وقالوا: مالك؟ فأوحى إليهم ورمز أن سبحوا الله بكرة وعشياً. أي صلوا لله ونزهوه.

ومن خلال آيات القرآن الكريم تنتهي سيرة زكريا (ﷺ) عند هذا الحد ليبدأ بالحديث عن النبي يحيى (ﷺ).

غير أننا نجد بقية سيرة زكريا (ﷺ) في عدد من المراجع الإسلامية والمسيحية.

تقول المراجع: وكان أحد حكام فلسطين في عهده يقال له هيرودس، وكانت له ابنة أخٍ يقال لها هيروديا بارعة الجمال وأراد عمّها أن يتزوجها وكانت أم البنت تدعى سالومي وهما يهوديتان، وكانتا تريدان ذلك الزواج، غير أن يحيى (ﷺ) لم يرض عن هذا الزواج لأنه محرّم حسب شريعة التوراة فانتهزت أم الفتاة إخراج ابنتها إلى عمّها في زينتها فرقصت أمامه فسرّ منها وطلب إليها أن تقول ما تتمناه ليعمله لها. وكانت أمها قد لقنتها أن تطلب منه رأس النبي يحيى ويوضع على طبق. فقال لها: ويحكِ سليني غير ذلك، فقالت: لا أسألك غيره، فلما ابت عليه بعث إلى يحيى فقتل وأُتى برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا تحلّ لك. فلما أصبح فإذا دمه يفور ويغلي فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه.

ويقال إن تلاميذه أخذوا رأسه وهربوا به إلى دمشق حيث دُفن هناك وما زال في المسجد الأموي مقام مشبك يقال إن فيه رأس يحيى ويزوره الناس إلى هذا اليوم.

فلما سمع زكريا (عليه السلام) أن ابنه يحيى قد قتل، انطلق هارباً في الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادته شجرة: يا نبي الله إلى هنا، فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل في وسطها وانضمت عليه، فأخذ إبليس بطرف ردائه فأخرجه من شقّها، وأخذ الملك وأعوانه من اليهود يبحثون عن زكريا (عليه السلام) حتى أتوا البستان فدلّهم إبليس على الشجرة التي دخلها زكريا وأراهم طرف ردائه فأخذوا المناشير ونشروا الشجرة نصفين فاستشهد النبي زكريا بهذه الطريقة. وإذا جاز لنا تقدير عمره فإننا نقول إنه تجاوز المئة عام، لأن يحيى وُلد وزكريا كان ابن سبعين أو أكثر. وقُتل يحيى وهو ابن ثلاثين سنة، لذلك من المرجح أن عمر زكريا كان قد تجاوز المئة عام.

وقد اتصف اليهود بقتلهم الأنبياء بغير حق، فلم يرحموا شيخوخة النبي زكريا بل قتلوه بشكل لا يقبله عقل ولا منطق ولا دين.

ونذكر هنا أن الأناجيل لا تذكر أن زكريا هو نبي ولا حتى يحيى، وجاءت على سيرته بأنه كان كاهناً للرب ليس أكثر، وما بين الكهانة والنبوة فرق كبير.

وعندما نطّلع على آيات القرآن الكريم نرى شيئاً من الحديث عن النبي يحيى (عليه السلام) قبل أن يُقتل على أيدي اليهود.

من خلال سياق الآيات القرآنية في سورتي آل عمران ومريم نستنتج أن ولادة يحيى تمت في وقت ولادة المسيح (عليه السلام) وترى المصادر أن الفرق بينهما هو ستة أشهر فقط، اي أنهما أولاد سنة واحدة.

يقول تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1].

وفي الكلام حذف يدل عليه المقام إذ التقدير فولد له ولد وقال الله له: يا يحيى والمراد بالكتاب كتاب موسى (عليه السلام) وبعضهم يرى أن الكتاب هو التوراة غير المحرفة، وأمره الله أن يأخذ بأحكام هذا الكتاب بجد وقوة ويروى أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا

(1) مريم الآية 12.

لنلعب، فقال: ما للعب خلقت، وقيل إنه كان ابن سنتين أو ثلاث سنين حين أعطاه الله النبوة وهذا من خوارق الأنبياء.

وقد ورد في حديث شريف رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ): (كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا).

وطلبُ الله له أن يأخذ بالكتاب بقوة وبجد لأن بني إسرائيل صاروا يحرّفون في الشريعة والحلال والحرام، ولا سيما أن قصة استشهاده تدل على أنهم كانوا يريدون خرق الناموس الموسوي بزواج العم من ابنة أخيه.

ويقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

فالآية القرآنية تشير إلى أن يحيى سيكون مصدقاً بالمسيح (بكلمة من الله) ويروى أن أول من صدّق بالمسيح ودعوته هو يحيى (ﷺ) وهو في الوقت نفسه سيكون سيداً محرراً من كل أشكال العبودية البشرية. وقوله سيداً يسود قومه ويفوقهم في العلم والتقوى والصلاح ويُروى أنه ما همّ بمعصية.

وقوله حصوراً أي ممنوعاً من النساء فلم يأت النساء إما لطبعه وإما لمبالغة نفسه في العبادة والزهد. وبعضهم يرى أن حصوراً تعني أن الله خلع من نفسه الشهوة والميل إلى النساء ولن ينجب أولاداً لأنه حصور.

ومن صفات النبي يحيى أنه قد بعثه الله رحمة منه على أبويه وغيرهما من الناس وقوله زكاة أي التطهير والبركة والتنمية في وجود الخير والبر وكان تقياً مطيعاً لله تعالى لهذا لم يعمل خطيئة بها. وكان باراً بوالديه محسناً إليهما لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله أعظم من بر الوالدين. ولم يكن جباراً متغطرساً طاغياً وقد رأينا نهاية النبي يحيى في صفحات سابقة ولا موجب لإيرادها مرة أخرى.

(1) آل عمران، الآية 39.

من لطائف التنبيهات القرآنية:

لقد رأينا أن ثلاثة أنبياء اجتمعوا في آن معاً وهم زكريا ويحيى والمسيح عليهم السلام، زكريا أنجب يحيى ولم ينجب غيره. وزكريا كان عجوزاً كبيراً. بينما يحيى كان حصوراً لم يتزوج ولم ينجب والمسيح (عليه السلام) لم يتزوج ولم ينجب. قتل زكريا وقتل يحيى ولم يخلفا بعدهما خلف. والمسيح رفع إلى السماء ولم يخلف وراءه أحد.

وكأن الله سبحانه يقول لبني إسرائيل لقد بعثت لكم ثلاثة أنبياء في آن واحد ولم ترتدعوا. فسوف تنتقل النبوة من بني إسرائيل إلى أمة ثانية هي أمة العرب وسيبعث الله سبحانه نبي آخر الزمان محمداً (ﷺ) لذلك بشرت كتب اليهود وكذلك المسيح (عليه السلام) بمجيء هذا النبي الخاتم والفرق الزمني بين الأنبياء الثلاثة وبين النبي محمد (ﷺ) هو 570 عاماً لم يأت نبي بعدهم حتى بعثة رسول الله (ﷺ).

زكريا ويحيى في الأناجيل:

حسب إنجيل متى لا نرى حديثاً عن زكريا ويحيى في البدايات، فهو يبدأ بالحديث كالتالي: (وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية...) الإصحاح 1.

وحسب إنجيل مرقص يقول: (كان يوحنا يُعمِّد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا). الإصحاح 1.

أما إنجيل يوحنا فيقول: (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت). الإصحاح 1.

وإنجيل لوقا ينفرد بالحديث عن زكريا ويحيى منذ البدايات.

يقول لوقا: (كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات، وكان كلاهما بارّين أمام الله سالكين في جميع

وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما.

فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلّون خارجاً وقت البخور فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف، فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً، فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها، فأجاب الملاك وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدّام الله، وأُرسلت لأكلمك وأبشّرك بهذا، وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدّق كلامي الذي سيتم في وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومي إليهم وبقي صامتاً.

ولما كملت ايام خدمته مضى إلى بيته وبعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس.

ويرد في نفس الإصحاح: وهو ذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً.

ويأتي أيضاً: فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة داود ودخلت بيت زكريا وسلّمت على أليصابات فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض

الجنين في بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس، وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن اين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي.

وعن يحيى يقول إنجيل لوقا: وأما أليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابناً وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها. وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا. فقالوا لها: ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمي فطلب لوحاً وكتب قائلاً: اسمه يوحنا فتعجب الجميع. وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله فوقع خوف على كل جيرانهم، وتحدّث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية. فأودعها جميع السامعين في قلوبهم قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي وكانت يد الرب معه.

وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر.

ويقول لوقا: وأما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

وجاء في لوقا: في أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر أقوال أشعياء.

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد لإبراهيم، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتلقى في النار. وسأله

الجموع قائلين: فماذا نفعل، فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له. ومن له طعام فليفعل هكذا.

وجاء عشارون أيضاً ليعتمدوا فقالوا له: يا معلم ماذا نفعل، فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم وسأله جنديون أيضاً قائلين: وماذا نفعل نحن، فقال لهم: لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائقكم.

ويبدو من خلال النص أن النبي يحيى راح يقاوم فساد اليهود على شتى مراتبهم ويقرعهم ويدلّهم على طريق الخير كما أمر به الله سبحانه.

ويأتي في لوقا: وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو اقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذي رفْشُه بيده وسينقي بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ.

ويقول لوقا: أما هيرودس رئيس الرُّبع فإذ توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها زاد هذا أيضاً على الجميع أنه حبس يوحنا في السجن.

ويرد في لوقا: (فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر، فلماء جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا إلى يوحنا وأخبراه بما رأيتما وسمعتما.

وجاء في لوقا: بل ماذا خرجتم لتنظر أنبيّاً نعم أقول لكم وأفضل من نبيّ، ويقول: لأني اقول لكم إنه بين المولود من النساء ليس نبيّ أعظم من يوحنا المعمدان.

وجاء أيضاً في لوقا: فسمع هيرودس رئيس الرُّبع بجميع ما كان منه وارتاب لأن قوماً كانوا يقولون إن يوحنا قد قام من بين الأموات وقوما إن إيليا ظهر وآخرين

إن نبيّاً من القدماء قام. فقال هيرودس: يوحنا أنا قطعت رأسه فمن هو الذي اسمع عنه مثل هذا.

ويرد مثل هذا الكلام في إنجيل يوحنا:

كقوله: (وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي وأنا لم أكن أعرفه).

وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن أعرفه.

لقد أردنا من إيراد هذه الفقرات من بعض الأناجيل لنرى أن شخصية يحيى كانت حاضرة بشكل قوي في حياة المسيح (عليه السلام).

ولكننا إذ نورد ذلك يتضح لنا أن معالم شخصية يحيى حسب الأناجيل تندرج في الإطار التالي:

يحيى أكبر من المسيح ولكنه يصرح أنه جاء ليمهد الطريق أمامه.

يحيى أكثر من نبي حسب تصريح المسيح (عليه السلام).

يحيى يقتل على يد هيرودس باعترافه أنه قطع رأسه بسبب هيروديا.

ليحيى تلاميذ غير تلاميذ المسيح.

مجال الدعوة ليحيى هو نفس المجال الذي كان للمسيح من حيث المكان والزمان.

أعداء يحيى هم أعداء المسيح من اليهود والفريسيين والرومان.

الفصل الثاني

ولادة المسيح بين القرآن والأناجيل

لا شك أن ولادة المسيح بمعجزة إلهية قد أثار نقاشات عديدة بين المسلمين والمسيحيين، ولا شك أن هذه الولادة المعجزة أثارت لدى العلمانيين أسئلة عديدة تصل إلى حد التشكيك برواية الأناجيل وما قاله الله سبحانه في القرآن الكريم فهذه الولادة خرق لنواميس البشر ونواميس الطبيعة البشرية، إذ أنها فريدة من نوعها ولم تحدث قط في تاريخ البشرية.

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم أجاب عن أسئلة المشككين بأن قدرته التي خلقت آدم من تراب هي أيضاً حاصلة بخلق المسيح من دون أب.

لقد كانت ولادة المسيح مثار تحفظات من قبل المعاصرين للمسيح، حتى إن اليهود الذين كانوا يكتبون التلمود تباعاً اتهموا المسيح بأنه ابن زنى وأنَّ أباه هو يوسف النجار وأن أمه زانية فاجرة والعياذ بالله.

أما من تبع المسيح من التلاميذ الأولين فقد آمنوا بقدرة الخالق على فعل المعجزات وأن الروح القدس قد حلَّ في مريم كما صرحت بذلك الأناجيل، ولكن تطور الرؤية المسيحية جعلت من المسيح ابناً لله بالروح كما يقولون، حتى وصلت بعد المؤتمرات المسكونية في القرن الرابع الميلادي إلى القول بالثالوث والارتباط بين الله والابن اي المسيح والروح القدس.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض الشعوب وأصحاب العقائد المنتشرة في العالم كاليونان القديمة والهند حفلت بما يشابه ما جرى من ولادة معجزة وهذا ما سنعود إليه في صفحات لاحقة.

ولادة المسيح في النص الإنجيلي:

حفلت غالبية الأناجيل بالحديث عن ولادة المسيح، وقد وضح ذلك في إنجيل لوقا أكثر من غيره، إذ نلاحظ نوعاً من التسلسل القصصي لهذه الولادة بدءاً بالبشرى الإلهية وانتهاءً بالولادة.

يأتي في إنجيل لوقا: (في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة في الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام عليك أيتها المنعم عليها، الرب معك مباركة أنتِ من النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يدعى ابن الله.

ويقول: فقالت مريم هو ذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك.

ويأتي في إنجيل متى قوله: لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها، إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً،

وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله كان لكي يتم ما قبل من الرب بالنبي القائل "هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل" الذي تفسيره (الله معنا)، متى 1.

وجاء في لوقا: وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقطمته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لها موضع في المنزل.

وسنناقش ما ورد في الأناجيل التي تحدثت عن ولادة المسيح وما لفّ حولها من أمور بعد أن نستعرض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الموضوع نفسه يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

(1) مريم، 16 – 33.

وإذا نظرنا في آيات سورة آل عمران لا نجد حديثاً عن ولادة السيد المسيح وما نجده يرتبط بالبشارة التي ألقيت لمريم بأن الله سيهب لها غلاماً وسيكون نبياً لبني إسرائيل يأتي بالمعجزات بإذن الله حتى يؤمن مَنْ ضلّ من بني إسرائيل.

ولادة المسيح في الأناجيل تحت المجهر:

عندما نعود إلى ما جاء في إنجيل لوقا نرى أن الملاك جبريل يأتي ليبشّر مريم بغلام، ولا خلاف في ذلك، ويقول لوقا: إن مريم كانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف وجاءتها البشرى في مدينة الناصرة، وقد يكون ذلك صحيحاً ولا خلاف حوله، لكن القرآن الكريم لا يشير إلى أن مريم كانت مخطوبة، ويركز القرآن الكريم على اصطفاء الله سبحانه لمريم وتربيتها الدينية، وتفريغ نفسها للعبادة ويشير القرآن الكريم إلى أن زكريا (عليه السلام) كان يأتي إلى المكان الذي كانت تتعبد فيه فيجد عندها رزقا.

وتشير الآيات الكريمة إلى أن مريم كانت مرهونة للمعبد والعبادة حسب قول أمها امرأة عمران، أما أنها كانت مخطوبة فهذه قصة لا يمكن التأكد منها وقد تكون غير صحيحة على الأغلب فربما هي من الأخبار التي كتبها أصحاب الأناجيل نقلاً عن الناس وفي أحاديثهم شك لأن هذه الروايات مصدرها كهنة اليهود الذين عادوا السيد المسيح وبثوها بين الناس.

ويشير إنجيل لوقا إلى أن الرب بشر مريم بهذا الغلام الذي أطلق عليه اسم يسوع وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لمُلكه نهاية.

هذا الكلام جميعه جاء في البشرى قبل أن تحبل مريم بالمسيح وقبل أن تلده أما كلمة يسوع فلم ترد في القرآن الكريم وإنما الذي ورد هو اسم المسيح إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

(1) آل عمران، الآية 45.

ويقول لوقا: وابن العلي يدعى، وبالطبع فإن هذا القول للوقا، أما كلام الله فهو قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1]. ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2]، وفي إنجيل برنابا نبي إلى بني إسرائيل.

أما قوله (يعطيه الرب كرسي داود أبيه)، فهذا مخالف لمجرى التاريخ وحقائقه، إذ أن المسيح لم يجلس على كرسي الملك ولم يملك على بيت يعقوب ولم يكن في حياته صاحب ملك وهذه الأمور نقلها لوقا عن رواية اليهود الذين يرون في المسيح مكابيّاً ثائراً على الروم ليستعيد ما فقده بنو إسرائيل من ملك.

وقد بنى بعض الباحثين الغربيين بعض الدراسات عمن يسمى المسيح التاريخي من خلال اعتمادهم على هذا النص، ورأوا أن المسيح التاريخي كان قائداً ثورياً جمع حوله الثوار في مواجهة الرومان.

والحقيقة النبوية تؤكد عدم الصلة الأبوية بين المسيح وداود، إنما هناك الأهم وهو وجود عيسى وداود في دائرة نبوية واحدة.

وقوله (ابن العلي يدعى) فنرى أن بعض المسيحيين أخذوها على معنى النبوة أي أن المسيح ابن الله، فكيف يكون المسيح ابن الله وفي الوقت نفسه يقول لوقا: (يعطيه الرب كرسي داود أبيه)، فهل هو ابن الله أم ابن داود.

ويؤكد لوقا في فقرة لاحقة هذه النبوة إذ يقول: فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله.

أما إنجيل متى فيقول (فتدعو اسمه يسوع) ثم يقول: (وتلد ابناً يدعون اسمه عمانوئيل) اي الله معنا، وهذا استناداً على نبوءة أحد أنبياء التوراة وهو النبي أشعياء.

---

(1) مريم، 30.

(2) آل عمران، 49.

وجاء في لوقا: (وبينما هما هناك تمت ايامها لتلد فولدت ابنها البكر وقطمته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لها موضع في المنزل).

والمقصود بالمذود الوعاء الخشبي أو المبنى الطيني الذي توضع فيه الحشائش والأعلاف كي تأكل الأغنام والأبقار.

بمعنى أن مريم ولدت المسيح في إحدى الحظائر، ونعرف من إنجيل لوقا أن مريم ولدت المسيح في بيت لحم، وقد ختن بعد ثمانية أيام من ولادته على طريق شريعة بني إسرائيل.

ويأتي في إنجيل لوقا: ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم (القدس) ليقدموه للرب كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل فاتح رحم يُدعى قدوساً للرب ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو فرخي حمام.

ويقول: ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة، وهذا كل ما يتعلق بولادة المسيح، ولا تأتي الأناجيل على ذكر معاناة مريم في حملها وولادتها ولا على نطق المسيح في المهد ولا على تعجب الكهنة اليهود من نطقه وعجبهم مما حدث مع مريم من الحمل حتى الولادة.

إن ولادة المسيح حسب الأناجيل جاءت خاصة ومحصورة إذ تفتقد لأبعادها الدعوية والمعجزة، إذ أن المعجزة كانت تحدياً لكهنة اليهود المشككين بقدرة الله ومعجزاته.

وعندما تعرف أن جميع من كتبوا الأناجيل لم يعاصروا المسيح ولم يشاهدوا الأحداث التي جرت وهو موجود وشاهد عليها فإننا نعذرهم لما نقص في كتبهم، والنقص كبير جداً، وما جاء في القرآن الكريم يصحح الأخطاء من جهة، ويأتي على ذكر ولادة المسيح بشكل صحيح ومتوافق مع الأحداث الحقيقية وبمعنى آخر تأتي الأحداث الواقعية متوافقة مع النص القرآني لأن القرآن هو المصدر الوحيد الأول الذي يعتمد عليه في قصة المسيح وحياته ودعوته.

لنر تسلسل قصة ولادة المسيح في القرآن الكريم:

لقد اصطفى الله سبحانه مريم ودعاها لأمر عظيم إذ لا يعقل أن تكون أماً للمسيح النبي العظيم دون اصطفاء من الله، إذ أن الله سبحانه اختارها دون غيرها لأنها منذ البداية أحيطت برعاية إلهية خاصة حتى وهي في بطن أمها، وعندما اراد الله لها أن تحمل مهد لها كافة الأمور وألهمها بعدة أمور أيضاً.

في البداية كانت مريم تذهب إلى مكان شرقي في بلدة الناصرة، وشرق الناصرة تلال صغيرة عليها الأشجار والمارّون فيها قليلون، ويبدو أن مريم أرادت أن تحتجب عن أهلها لأنها كانت تتعبد لله ويهيئها الله للأمر العظيم.

وفي حالة وجودها لوحدها منعزلة مستورة عن رؤية أحد من الناس بعث الله سبحانه الملاك جبريل على صورة إنسان جميل سوي وليس على صورته الحقيقية، وليس فيه ما يثير الخوف والاشمئزاز أو الفزع أو التعجب، ولو ظهر لها الملاك جبريل على هيئته الحقيقية لفزعت مريم وقد يودي بها إلى التهلكة، وبشكل عام فإن مريم لم تبلغ آنذاك سن العشرين حسب المصادر وبعض المصادر تقول إنها عندما حملت بالمسيح (ﷺ) كانت قد بلغت السابعة عشرة من عمرها فحسب.

ومن المؤكد أن التي كانت في مثل هذا السن إضافة لكونها أنثى فإنها لن تتحمل رؤية أمر غريب عجيب مذهل وغير مألوف، لذلك اراد الله سبحانه أن يتمثل جبريل لها بشراً جميلاً سوياً ليس فيه ما ينفّر وفي نظرها يجب أن يكون ذا شكل محبب مقبول.

وعلى الرغم من ذلك ارتعبت مريم وتعوذت بالله خوفاً على نفسها من هذا الإنسان الجميل الذي فاجأها وهي مختلية لنفسها.

فخاطبها قائلاً: إنما أنا رسول ربك بعثني الله سبحانه لأبشرك بأنك ستحملين بغلام زكي، فتعجبت من ذلك وقالت: كيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي لم أكن متزوجة، ولم أعرف الرجال وكان سؤالها تعجباً وليس استنكاراً لأمر الله بعد أن عرفها بنفسه أنه رسول من ربها.

وخاطبها أن قدرة الله أعظم من كل مستحيل، فهذا الأمر هين على الله سبحانه، وبين لها أن هذا المولود سيكون آية ومعجزة للناس وسيكون رحمة من الله وقد أمر الله سبحانه بذلك ولا راد لحكم الله وكان أمراً مقضياً.

وحملت مريم بالجنين فراحت تبتعد عن أعين أهلها وأعين الناس لأن الحمل أخذ يظهر عليها، وظلت تبتعد إلى مكان قصي بعيد حتى لا يراها أحد إلى أن جاء أمر الله بولادتها لابنها.

فاجأها المخاض وهي في مكان بعيد عن أهلها وعن بيوت قريتها أو مدينتها لا كما قال لوقا من أنها ولدت في حظيرة وكان معها خطيبها يوسف. ولشدة الألم تمنت الموت على أن يكون هذا الأمر لكن الله سبحانه هيأ لها الأمور بجميع نواحيها.

وعند اشتداد ألمها ظهر لها الملاك جبريل وكانت تجلس على رابية مرتفعة قليلاً وتستند إلى جذع نخلة، فإذا بها يظهر لها من أسفل ويخاطبها بألا تحزن ولا تبتئس لأن الله سبحانه قد أجرى تحتها نبع ماء زلال، وقال لها هزي إليك بجذع النخلة فهزت النخلة فتساقط عليها ثمر الرطب فأكلت وشربت وولدت طفلها.

لكنها احتارت ماذا تفعل بعد ذلك فأمرها الملاك أن تسير إلى أهلها ولا تكلم أحداً من البشر: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[1]. وذهبت إلى أهلها فإذا بهم بعد المفاجأة يتساءلون ويسألون عن هذا الغلام الذي تحمله، ولم تجب ثم ذهبت إلى المعبد فتساءل الكهنة من اليهود عن ذلك وقالوا ليس معقولاً أن تفعل هذه الفتاة الفحشاء فأبوها إنسان محترم مقدر بينهم، وأمها كانت محترمة ومقدرة وسألوها فلم تجبهم، وأشارت إلى وليدها موحية إليهم أن اسألوه، فقالوا كيف يكون ذلك كيف نكلم من كان في المهد صبيا.

فإذا بالمسيح (ﷺ) ينطق بقدرة الله وكم كانت المفاجأة للجميع قال: إني عبد الله ولم يقل إني ابن الله فهو عبد مخلوق لله وقد ميزه الله بأن أتاه الرسالة وجعله نبياً مرسلاً

(1) مريم، 26.

إلى بني إسرائيل، وباركه الله أينما كان ويكون، وأمره بتأدية الفرائض كالصلاة والزكاة ما دام على قيد الحياة، وجعله الله براً بوالدته ورحيماً ولم يجعله من الجبارين الأشقياء.

الخلاف بين رواية الأناجيل والقرآن الكريم حول ولادة المسيح (عليه السلام):

بداية نرى أنه لا خلاف بين الأناجيل والقرآن الكريم في أن ملاك الله جبريل جاء لمريم وبشرها بأنه ستحمل غلاماً من دون اب وتلك معجزة إلهية.

ولكن هناك خلافات أساسية ومفصلية، وتبدأ هذه الخلافات حول المكان الذي ولدت فيه مريم المسيح (عليه السلام)، وما عانته من مخاض ومن آلام ولعل أهم خلاف هو نطق المسيح في المهد، وهذا ما تنكره الأناجيل.

ولنتتبع الآيات القرآنية آية آية لنرى كم هو الخلاف بين القرآن والأناجيل، يقول تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[1]. فعندما حملت مريم بالمسيح راحت تبتعد إلى مكان قصي بعيد وذلك بسبب ظهور الحمل عليها وخوفاً من اتهامها بالزنى، وهذا الاختفاء قضاء من الله حتى يتم أمره ويولد المسيح (عليه السلام).

وعندما حان موعد ولادة المسيح وفاجأ المخاض مريم وليس لها عهد بذلك كانت تجلس إلى جانب نخلة، فتمنت الموت قبل أن يحدث هذا، وتمنيها للموت كان لعدة أسباب: السبب الأول الآلام الشديدة التي رافقتها أثناء المخاض، وهذا ما يحدث مع كل أم، والسبب الثاني خوفها المستقبلي من الناس وخاصة من قومها إذا ما رأوها تحمل طفلاً ولا يعرفون من أين جاءت به وكيف حملت به وفي هذه الحال ناداها الملاك جبريل بينما كانت مريم تجلس إلى جانب النخلة على مرتفع ناداها من أسفل هذا المرتفع وقال لها: هزي إليك بجذع النخلة ليتساقط الرطب الجني الذي حان وقت سقوطه وقطافه، ثم قال لها: كلي واشربي أي كلي من هذا الرطب واشربي من ماء الساقية فإن الله سبحانه سيخفف عنك الآلام.

(1) مريم، الآية 22.

وأما الخوف من الناس فإذا ما صادفك إنسان فقولي إني نذرت للرحمن صوماً عن الكلام فلن أكلم أحداً من الناس، وقامت بفضل الله وحملت وليدها واتجهت نحو أهلها متسلحة بالإيمان والثقة بالله.

وعندما جاءت إلى أهلها تجمعوا حولها وانهالت الأسئلة عليها وهي لا تجيب لقد قالوا: إن أمرك غريب مريب فكيف تفعلين ذلك بينما كان أبوك من أكرم الناس وأتقاهم، وأمك صالحة ولم نسمع عنها شيئاً من السوء.

فلم تتكلم وأشارت بيدها إلى وليدها موحية لهم أن يسألوه فتعجبوا إذ كيف يمكن الحديث والحوار مع طفل لم يبلغ عمره يوماً، فإذا بالله ينطق المسيح (ﷺ) وتكون أول كلمة يقولها: إني عبد الله ولست ابن الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ومباركاً اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً.

وهذا تفسير ما ورد في القرآن وهو يخالف ما جاء في الأناجيل:

فالأناجيل بشكل عام لا تتحدث عن فترة حمل مريم بالمسيح (ﷺ) ومنها الهروب من عيون الناس (وهذا هو الأمر الطبيعي)، وما بين تبشيرها وولادتها لا يوجد أي شيء سوى ما قاله إنجيل لوقا عن زيارتها لأم يحيى الحامل آنذاك والأناجيل تتحدث عن ولادتها في إحدى الحظائر وكان معها يوسف خطيبها بينما ولدت مريم بعيداً عن أعين الناس، وقد أجرى لها معجزات منها ساقية الماء وكذلك وجود النخلة التي هزتها فأسقطت ثمر الرطب، ثم حملها لابنها والذهاب إلى قومها ونطق المسيح (ﷺ) في المهد.

كل ذلك لم تذكره الأناجيل، ونرى حسب استنتاجاتنا أن هناك أسباباً مفترضة لذلك:

أولها: أن أصحاب الأناجيل لم يشهدوا ولادة مريم ولم يشاهدوا مجريات الأحداث التي جرت للمسيح (ﷺ) وقد نقلوا الأخبار عن الرواة، لذلك اختلفت كتاباتهم، وجاء منها ما هو ناقص وما هو متناقض وما هو مناقض للمنطق الديني والتاريخي والاجتماعي، إذ لا يعقل أن تحمل مريم ثم تلد بشكل طبيعي خاصة في مجتمع يرى في الحمل غير الشرعي حسب الظاهر جريمة تستحق صاحبته الرجم.

ثانيها: إن كتبة الأناجيل يتهربون من ذكر بعض الأمور التي قد تجرهم للقول إن المسيح اعترف منذ المهد بأنه عبد الله وليس هو الله أو ابن الله.

ثالثها: إن اليهود وخاصة الفريسيين أدخلوا كثيراً من الروايات الباطلة الكاذبة في عقول الناس وأخفوا كثيراً من الحقائق منها نطق المسيح في المهد وحيرة كهنة اليهود وتعجبهم مما جرى في المعبد عندما جاءت مريم بوليدها ليشهد على براءة أمه وعلى أنه عبد الله وكلمته ومعجزته، تماماً مثلما ابتدعوا فكرة صلبه وموته وقيامته التي تبنتها الأناجيل، وتبناها بعض اللاهوتيين من أصحاب العقيدة المسيحية.

من الملاحظ أن رواية إنجيل لوقا تتحدث عن ولادة المسيح عندما كانت أمه مريم ويوسف النجار الذي تصفه بأنه زوج مريم اثناء رحيلهما من الناصرة إلى بيت لحم بسبب إقصاء أمر به قيصر الروم، والواقع أن هذا الحدث ليس له علاقة لولادة المسيح، فتسلسل الأحداث حسب سورة مريم يقتصر على مريم وولادتها وهي مركز وجوهر القصة المعجزة.

يقول لوقا: ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل -أما اي منزل يتحدث عنه فلا ندري-.

ويرى لوقا أن مريم ويوسف ذهبا إلى القدس ليقدما المسيح للرب اي يقدمانه في المعبد، ولا يأتي الإنجيل على ذكر قصة نطق المسيح في المهد أمام كهنة اليهود.

رواية متى عن المجوس الذين أتوا إلى بيت لحم:

تتحدث بعض الأناجيل عن زيارة بعض المجوس القادمين من الشرق إلى فلسطين ويقول في ذلك إنجيل متى: ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له. 2: 1 – 2 متى.

ويقول: حينئذٍ دعا هيرودس المجوس وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومرّاً.

وفي هذا النص عدة أمور لا بد من مناقشتها ترتبط بولادة السيد المسيح (ﷺ).

1 – من هم هؤلاء المجوس، ما عددهم ومن أين جاؤوا؟ ونحن نعرف أن المجوس آنذاك كانوا في إيران، والمسافة التي تفصل بين إيران وفلسطين تحتاج آنذاك لمسيرة قد تستغرق ستة أشهر على الأقل، وعندما رأوا النجم المفترض علموا أن غلاماً سيلد وهو صاحب شأن وفور وصولهم إلى بيت لحم سألوا عن ولادة هذا الغلام.

والسؤال المطروح من أخبرهم وأوحى لهم بولادة يسوع؟ هل أوحى لهم الله أم أن النجم أوحى لهم بذلك.

ويقولون لقد رأينا نجمه في المشرق، وما بين رؤيتهم للنجم ووصولهم إلى بيت لحم مسافة زمنية لا تقل عن ستة أشهر كما قلنا.

2 – جاء قولهم اين هو المولود ملك اليهود، فهل حقاً كان المسيح ملكاً لليهود وهل ولادة ملك تستدعي أن يرى الناس نجمه في السماء.

إن قولهم ملك اليهود دفع العديد من الباحثين للقول بأن المسيح كان ثائراً من أجل عرش داود وبني إسرائيل وليس هو نبي صاحب رسالة.

ومن المعروف أن المجوس أي الفرس آنذاك كانوا يقدسون ملوكهم ويسجدون لهم لذلك قالوا أين هو المولود ملك اليهود، آتينا لنسجد له.

ويقول لوقا: وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي.

فالغريب في الأمر أن هذا النجم يسير من المشرق حتى بيت لحم ليقف في السماء فوق مكان الصبي، فما هو هذا النجم؟ هل هو كتلة من النور أم من النار، ما هو حجمه، وكيف توقف عن المسير، ألا يحدث شيء ما في الكون من اختلال أو اصطدام بين النجم وغيره من النجوم والكواكب؟.

3 - نحن نعلم أن المجوس كانوا يعبدون روح الناس بعد أن حرفت العقيدة الزرادشتية وهم بشكل عام ليسوا موحدين بل يؤمنون بالثنوية أي بإلهية إله النور وإله الظلام، أهورامزدا وأهرمان، وطالما هم على هذه العقيدة فكيف يوحي الله لهم بولادة النبي عيسى (عليه السلام)، ثم كيف يسخر لهم نجماً ليكون دليلاً لهم على ولادة هذا النبي؟.

4 - ثم يقول لوقا: فسجدوا له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً، وتقديم الهدايا عادة فارسية إذ كان الناس يقدمون هداياهم للملوك.

لقد ظن بعض مفسري الأناجيل أن السجود من قبل المجوس للمسيح هو سجود تعبد إذ إنه برأيهم هو الله أو هو ابن الله، وهناك فرق بين سجود التعبد وسجود الاحترام والتبجيل، ثم إن المسيح كنبي ليس بحاجة لأن يقدم له الذهب والفضة لأن رسالته ليست رسالة مادة بل هي رسالة نبوية قلبية ومسلكية.

هل ظل المسيح يتكلم في المهد؟:

من الواضح أن المسيح (عليه السلام) تكلم في المهد لمرة واحدة وعاش حياته مثل بقية الأطفال، إذ لو كان قد استمر بالنطق وهو صغير لوجدنا ذلك من خلال التصريح أو التلميح في القرآن الكريم، أو أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن خلال ما جاء في الأناجيل نرى أنه لا وجود لأهل مريم بعدما ولدت ابنها مباشرة ولا وجود لزكريا أو اي ممن له علاقة أسرية بأم

المسيح. إذ المفترض أن تسأل مريم عن وليدها إلا إذا افترضوا أنها متزوجة من يوسف النجار وأنجبت منه هذا الولد.

والواقع أن الأناجيل تؤكد أنها كانت مخطوبة ليوسف ولم تكن قد تزوجته بعد وإذا افترضوا أنها كانت متزوجة من يوسف وأن المسيح هو ابن يوسف فإن ذلك ينفي عنه الألوهية التي تخيلوها، إذ هو في هذه الحال ابن رجل وامرأة فكيف يقولون إنه الإله أو ابن الإله.

ومن الواضح أن الذين شهدوا للمسيح بنطقه في المهد أمه مريم وعدد من كهنة اليهود وبعض عائلة مريم، وهذا واضح من خلال قول الله سبحانه ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[1]، ومن خلال سؤالهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2]. ومعروف أن مريم كانت تتعبد في المعبد وأن أمها في البداية رهنتها بعبادة الله الواحد وهي في رحمها ودون أن تعرف أنها أنثى، أما لماذا لم يأت ذكر كلام عيسى في المهد في الأناجيل فالسبب الأول والمهم أن كتبة الأناجيل جاؤوا متأخرين زمنياً وعلى أقل تقدير فإن الفاصل الزمني بين ولادة المسيح وظهور أول إنجيل هو ستون عاماً، فالكتبة يجهلون ذلك وليس لديهم علم به.

من ناحية ثانية فإن المسيحيين وخاصة من أشاع المسيحية ينكرون تكلم المسيح في المهد، ولا ندري ما هي أسبابهم، أما نحن فنقول إن إنكارهم هروب من الاعتراف بأن المسيح نطق أول ما نطق بعبوديته لله، وهذا ما يخالف عقيدتهم.

(1) مريم، الآية 27

(2) مريم، الآية 29.

الفصل الثالث

عقيدة المسيح بين القرآن والأناجيل

ترتبط عقيدة المسيح بأمور شتى قد تناقض كلياً ما درج عليه المسيحيون من عقيدة. فعقيدته شخصياً هي عقيدة الأنبياء الذين سبقوه، وهنا لا بد من التفريق بين عقيدته الشخصية وعقيدة المسيحية التي جاءت بعده.

ولا بد أن نوضح أن العقيدة ترتبط بالذات الإلهية والإيمان بالغيبيات كاليوم الآخر وكذلك الإيمان بالأنبياء والكتب المنزلة من الله سبحانه وكذلك الإيمان بالملائكة.

ولما كان المسيح نبياً مرسلاً كما نص عليه القرآن الكريم فلا بد من التطرق لمفهوم النبوة وكيف فهمه المسيحيون مرتبطاً بالمسيح أو غير مرتبط، وكذلك فإن ما أنزل عليه من الإنجيل يوضح أيضاً عقيدته التي اختارها الله له منذ البداية ومع كل ذلك فإن عدداً كبيراً من نصوص الأناجيل تتحدث بلسان المسيح وهي تأخذ عدة معانٍ وتفسر بعدة تفاسير.

فهل صرح المسيح بأنه إله أو ابن إله؟.

هل نطق المسيح بالشراكة الإلهية مع الله؟

هل قال عن نفسه أنه عبد الله وما الأدلة الإنجيلية على ذلك؟.

لنعد إلى النص القرآني نرى عقيدة هذا النبي:

يقول تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

في هذه الآيات يتضح لنا أنت المسيح (عليه السلام) دعاهم لعبادة الله الواحد الأحد فقال إن الله ربي وربكم، ثم إذا عدنا إلى الآية الأولى والثانية نرى أن المسيح بعث كرسول لبني إسرائيل، وأن الله سبحانه أعلمنا أن المسيح قد علمه الله الحكمة، والكتاب والتوراة والإنجيل، بمعنى أن حكم الله قدر أن يكون المسيح نبياً رسولاً ولولا هذا الحكم المقدر لما عرف المسيح لا الحكمة ولا الكتاب ولا التوراة ولا الإنجيل فهو بشر مثل بقية البشر ولا يعلم الغيب، وحين ننظر إلى الآيات الكريمة نرى أن المسيح اقر بأن الله دعم دعوته بمعجزات منها صنع طير في الهيئة فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكذلك إحياء الموتى بإذن الله، ومعرفة ما يأكلون وما يدخرون فهو لوحده وبدون قدرة الله لا يستطيع فعل شيء، لا يخلق طيراً ولا يحي الموتى، وكل ما أتى به من معجزات هو بإذن الله.

وقد ظن بعض رجال الكهنوت المسيحي أن المسيح باعتباره الله فهو قادر على الخلق قادر على إحياء الموتى لأن مثل هذه الأفعال لا يختص بها إلا الله وتناسوا أن هذه الأعمال معجزات إلهية منحها الله للمسيح ليبرهن على نبوته وتأييده من الله، ولو كان الأمر كما يظنون لكان النبي موسى إلهاً أيضاً لأنه جعل من العصا ثعباناً يلقف ما صنع سحرة فرعون، وكذلك بعض الأنبياء الذين ايدهم الله بمعجزات عديدة.

ثم إن القرآن الكريم يوضح لنا أن الله سبحانه علّم المسيح الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل بمعنى أن المسيح لا تتم دعوته إلا بمعرفته لعقائد القوم الذين بُعث لهم وهم بنو إسرائيل، فلو كان المسيح إلهاً كما يزعمون لما احتاج إلى هذا التعليم الرباني.

(1) آل عمران، 48 – 51.

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

فمن الواضح أن المسيح حذر سلفاً من القول بأنه الله وطلب من بني إسرائيل أن يعبدوا إلهاً واحداً فهو إلهه وإلههم ولا أحد سواه، ومن يشرك بالله فإن جزاءه النار ويحرّم الله عليه الجنة تحريماً أبدياً قطعياً.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

ففي هذه الآيات نقاط عدة توضح عقيدة المسيح (عليه السلام):

1. إدعاء من جاؤوا بعد المسيح بأنه إله وأمه إلهة من دون الله.
2. أدب النبوة الذي يتجلى في قول المسيح، إنك تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك.
3. تأكيد المسيح أن ما قاله هو ما أمره الله به وهو عبادة الله وحده فهو ربي وربكم.
4. اعتراف المسيح وتأكيده أنه كان شاهداً على عقيدة من اتبعوه، وطوال وجوده معهم يشهد على عقيدتهم التوحيدية.
5. تأكيد المسيح أنه عندما رفع إلى السماء وانتهى وجوده على الأرض لا يتحمل مسؤولية كفرهم، والله شاهد عليهم ماذا قالوا بعد رفع المسيح وانتهاء دوره بينهم.

---

(1) المائدة، الآية 72.

(2) المائدة، 116 – 118.

6. إن كلمات مهمة وردت في الآيات الكريمة تؤكد إيمان المسيح ونبوته وتعامله مع خالقه، منها قوله: سبحانك بمعنى أنزهك، وقوله ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق، وقوله أنت علام العيوب، وقوله إن تعذبهم فإنهم عبيدك، وقوله وأنت على كل شيء شهيد، فهذه صفات خاصة بالله سبحانه ولا يحق لأحد مما خلق الله أن يدعي امتلاكه لها أو من خصوصياته.

وإضافة لما جاء على لسان المسيح (ﷺ) من عبوديته لله فإن آيات أخرى وردت في القرآن الكريم توضح عقيدته.

يقول تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[1].

ويوضح الله سبحانه أن المسيح رسول الله وكلمته وروح منه وليس في ذلك ما يلمح أو يشير أو يقول بأن المسيح إله أو ابن إله، فهو أولاً رسول الله ثم كلمته ثم هو روح منه، وكذلك عندما خلق الله آدم نفخ فيه من روحه إن المسيح لن يفكر لحظة في أن يكون عبداً لله، وإلا لما اختاره الله نبياً ورسولاً.

ويقول تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

فالمسيح بشر وأمه من البشر ومثلهما مثل بقية البشر يأكلان الطعام ويشربان ويقضيان حاجتهما، فكيف تكون عقيدة هذا الرسول البشر؟ إنما هي عقيدة التوحيد وليس فيها إشراك بالله.

ويقول تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[3]. فهو مثل غيره من الرسل الذين سبقوه وهو مثلهم في الحياة والموت وبالبشرية وهناك آيات أخريات في عدد من السور تشير إلى نبوة المسيح وليس ألوهيته.

(1) النساء، الآية 172.
(2) المائدة، 75.
(3) المائدة، 75.

يقول تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[5].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾[6].

إن جميع ما ورد في القرآن الكريم يتحدث عن معجزة خلق الله للمسيح من دون أب فهو نبي رسول وبشر، وهو كلمة الله وبُعث إلى بني إسرائيل وبشّر بالنبي الذي يأتي بعده وهو محمد (ﷺ)، وتبين الآيات عقيدته التوحيدية، إضافة لكونه مثل أي مخلوق بشري خلقه الله من تراب.

وقد جاءت الآيات القرآنية لتوضح كفر الذين قالوا بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله أو هو واحد من الثالوث الذي ابتدعه المسيحيون الغربيون زمن الملك قسطنطين ومن جاء بعده من أباطرة الرومان.

مناقشة الأناجيل في عقيدة المسيح:

ترد في الأناجيل عبارات عديدة توحي لأول وهلة بأن المسيح يقول عن نفسه إنه إله وقد وقع المفسرون المسيحيون في التأويل والتفسير حتى وقعوا في التثليث والقول بألوهية المسيح.

(1) الأحزاب، الآية 7.

(2) الحديد، الآية 27.

(3) الصف، الآية 6.

(4) الصف، الآية 14.

(5) آل عمران، الآية 59.

(6) المائدة، الآية 115.

لقد وردت في الأناجيل بعض العبارات التي نسبت إلى المسيح على أنها اعتراف منه بألوهيته وبصلته الإلهية مع الله تلك الصلة التي توحي بأنه والله شيء واحد أو جزء منه، وفهمها المسيحيون على أن المسيح هو الله.

منذ بداية إنجيل متى لا نجد تصريحاً من المسيح نفسه يشير إلى أنه الله أو ابن الله حتى الإصحاح السادس عشر حيث ترد عبارات أولية على لسانه تشير إلى ذلك.

فيأتي في هذا الإصحاح قول متى: (سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون إرميا واحد من الأنبياء قال لهم وأنتم من تقولون إني أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا). متى 16: 13 – 17.

فظاهر الكلام يدل على أن المسيح وافق بطرس على مقولته بأنه ابن الله الحي ويرد ايضاً في متى: (فإن ابن الإنسان يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذٍ يجازي كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته). متى 16: 27 – 28.

وهذا يعني أن المسيح يأتي يوم القيامة مع ابيه الذي في السماء فيحاسب الناس على أعمالهم حسب زعم الإنجيل.

ويرد أيضاً في متى: (فجعل بطرس يقول ليسوع: يا رب جيد أن نكون ههنا فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال، لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيليا واحدة، وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت). متى 17: 4 – 5.

وجاء في متى: (حينئذٍ تقدم بطرس وقال يا رب كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات).

ويرد في متى: (وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب محتاج إليهما) 21: 3.

وجاء في متى: (فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل). 21: 11.

ويرد في متى: (وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن من هو؟، قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة) 22: 42 – 46.

ويرد في متى قول المسيح عن القيامة: (وللوقت وبعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع).

وجاء في متى: (وحتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسيين معه فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض) 25: 31 – 32.

ثم يأتي في متى: (فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يا رب) 26: 22.

وجاء في متى: (فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع: أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء).

ويأتي أخيراً في متى: (دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر). 28: 19 – 20.

وبهذا ينتهي إنجيل متى.

أما مرقص فترد فيه بعض العبارات التي توحي بأن المسيح رجل الله أو هو نبي الله، وما عداها فإن بعض الجمل القليلة المشابهة لما ورد في متى تبين عقيدة المسيح حسب الأناجيل.

جاء في مرقص: (فقال لهم: وأنتم من تقولون إني أنا، فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح).

بينما ترد نفس العبارة في متى أنت هو المسيح ابن الله الحي، وهذا تناقض واضح فيما بين الاثنين.

ويرد ايضاً في مرقص: (وظهر لهم إيليا مع موسى وكانا يتكلمان مع يسوع فجعل يقول ليسوع: يا سيدي جيد أن نكون ههنا).

بينما العبارة نفسها ترد في متى بزيادة يقول فيها: (يا رب جيد أن نكون ههنا) فهناك فرق واضح بين كلمتي يا سيدي ويا رب، لأن الثانية توحي بأن المسيح إله.

ويرد في مرقص: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب).

وقد وردت العبارة نفسها في إنجيل متى.

ويرد أيضاً: (فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابنُ المبارك، فقال يسوع: أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء).

وفي آخر هذا الإنجيل يرد: (ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله). 16: 19 – 20.

ومن الواضح طبعاً أن إنجيل مرقص يتألف من ستة عشر إصحاحاً، وهو يختصر الأحداث والأقوال لذلك لا نجد الكثير مما نسب إلى المسيح كما رأينا في متى أما في إنجيل لوقا فنرى بعض العبارات المشابهة لغيرها في إنجيل متى وإنجيل مرقص مع اختلاف فيما يتصل بالعقيدة.

فقد جاء فيه: (قال بطرس ليسوع: يا معلم جيد أن نكون ههنا)، ففي متى وردت يا رب، وفي مرقص يا سيدي، وهنا نرى عبارة ثالثة وهي: يا معلم.

ثم يأتي في لوقا: (فقال له بطرس: يا رب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضاً، فقال الرب: فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه). لوقا 12: 41 – 42.

وأخيراً نأتي إلى إنجيل يوحنا حيث تكثر عبارات فلسفية يصطنعها مؤلفه فقد ورد في الإصحاح العاشر: (ولكن إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه)، وهذه العبارة الأخيرة تشير إلى مبدأ الحلول والاتحاد.

وقد وردت عبارة قبلها جاء فيها: (أنا والآب واحد...).

ويقول: (تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه).

ولعل أوضح العبارات حول الحلول والاتحاد ما جاء في يوحنا في الإصحاح 14 حيث

يقول: (لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه، قال له: يا فيلبس الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أن أرنا الرب ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني في الآب والآب فيّ).

وقد ورد في يوحنا: (قال له: نعم يا رب أنت تعلم أني أحبك)، وقد تكررت العبارة ثلاث مرات متتالية في الإصحاح الأخير من إنجيل يوحنا.

فإذا عدنا إلى الأقوال التي تنسبها الأناجيل للسيد المسيح نرى انها تختلف من إنجيل لآخر، ويمكن حصر معانيها فيما يلي:

1. المسيح ابن الله.
2. المسيح هو الرب.
3. المسيح يقوم بأعمال نيابة عن ربه وخاصة في يوم الحساب.
4. المسيح والله متّحدان ويتضح ذلك من خلال الحلول والاتحاد في إنجيل يوحنا.
5. المسيح سيعود آخر الزمان مرافقاً لأبيه ليدين البشر مصلحهم وفاسدهم، مؤمنهم وكافرهم.

عندما نناقش النصوص الواردة في الأناجيل والتي تشير إلى أن المسيح قال بها لا بد أن نعود إلى أمور عدة تدخل في إطار هذا النقاش.

بعد الإجماع من قبل الباحثين واللاهوتيين على أن الأناجيل الأربعة ظهرت بعد رفع المسيح بدءاً من أربعين عاماً وانتهاءً بمئة عام على الأقل، وهذا يعني أن إنجيل المسيح أو الإنجيل الذي أنزله الله عليه فُقد ولم يعرف أحد مصيره، أما الأناجيل التي ظهرت فيما بعد فإنها دونت من قبل أناس لم يروا المسيح ولم يعايشوه وكانت مصادرهم في كتابة كتبهم مصادر شفهية من الناس، ولما كانوا من الكتبة المحترفين فقد رتبوا الأخبار والأقوال ترتيباً معيناً حتى تناسب عقول البشر آنذاك.

وعندما نضع بين أيدينا النصوص التي أشرنا إليها لا بد أن نتساءل: هل سمع كتبة الأناجيل المسيح وهو يصرح بأنه ابن الله أو الرب؟ هل سمعوه وهو يقول إنه يأتي يوم الدينونة مع أبيه ليدين البشر صالحهم وطالحهم.

إننا نعتقد أن كل صاحب إنجيل لعبت ثقافته الدينية والفكرية والاجتماعية دوراً مهماً في تصوراته ولغته.

التناقض في عبارات الأناجيل:

رأينا في الصفحات السابقة العدد الكبير من العبارات التي نسبت للمسيح (ﷺ) والتي فهمها المسيحيون، على أنها تصريحات بألوهية المسيح.

وفي مقابل هذه العبارات وجدت في الأناجيل عبارات تناقضها وهي ايضاً بالعشرات، وهي تتناثر بين التصريح بالعبودية وبين علاقة البنوّة بالأبوّة.

نفتح إنجيل متى لنرى ماذا يقول:

كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم.

فالمسيح ابن داود وابن إبراهيم وهناك سلسلة طويلة في نسب المسيح تعود إلى داود ومن داود إلى يعقوب فإسحق فإبراهيم.

فكيف يكون المسيح ابن داود، فابن إبراهيم وفي الوقت نفسه يكون ابن الله؟ لن نناقش هنا مسألة النفخ بالروح واللاهوت والناسوت، إنما نقتصر على ظاهر العبارات التي ترد في الأناجيل.

فالمسيح (ﷺ) إما أن يكون ابن داود وإبراهيم وإما أن يكون ابن الله كما يتخيلون. فإما أن نحذف العبارات القائلة بأنه ابن الله وإما أن نحذف العبارات التي تقول إنه ابن داود، فلا يصح أن يكون الإنسان ابناً لوالدين ولا يقبل العقل أن نفلسف العبارات ونؤولها حسب ما نشاء.

ثم يرد في إنجيل متى (فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع)، فمريم ستلد ابناً مثلما تلد النساء ولا تلد إلهاً كما يقولون، فالإله لا يخضع لناموس البشر إلا إذا كان إلهاً وثنياً حسب عقائد الشعوب الهندوسية والبوذية والوثنية بشكل عام.

ثم يرد في متى: إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فهم يصفونه بالملك وليس بالإله، والملك مولود من غيره وهذا أمر منطقي.

ثم يرد: فافحصوا بالتدقيق عن الصبي، والصبي طفل صغير، أي أنه إنسان سوف يكبر ويترعرع وليس هو إلهاً كان صغيراً ثم صار يكبر.

وتكررت كلمة الصبي في الإصحاح الثاني من إنجيل متى عدة مرات.

(وقف فوق حيث كان الصبي)، (وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي)، (قم وخذ الصبي وأمه)، (فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً)، (قم وخذ الصبي وأمه)، (لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي)، (فقام وأخذ الصبي).

في هذه العبارات جميعها لا تنطبق صفة الإله إلا إذا كانت هناك استعارات من العقائد الوثنية كالهندوسية والبوذية ومن الأساطير اليونانية والرومانية.

ثم يرد في متى: (حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء).

فالعبد هو الذي يعتمد، وإذا كان المسيح هو الله فهو لا يحتاج إلى تعميد.

ويقول متى: (وإذا السموات قد انفتحت له)، وهذا بعد التعميد ويوحنا عمَّد الكثيرين فلماذا لم تنفتح السماء لهم؟

ثم يأتي في متى: (أنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)، إذاً فالله وحده الذي يستحق العبادة والسجود فكيف تبعدون المسيح والروح القدس إلى جانب الله.

ثم جاء في متى: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)، وهذا دليل نبوته وعبوديته لله، فهو بعث ليكمل رسالات سبقته، ولو كان إلهاً لما كان بحاجة لناموس أو رسالة.

ثم لننظر إلى هذا النص من إنجيل متى: (فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك في الأرض. خُبْزنا كفافنا، أعطِنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجّنا من الشرير)، فالمسيح يدعو ربه ويدعو الناس أن يدعوا ربهم وأن يغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ولو كان إلهاً، كما يزعمون، لما كان مثل بقية الناس يُخطئ ويُصيب، ولولا الوحي لما تميز عن الناس بشيء وهكذا جميع الأنبياء، يصرحون بأنهم بشر مثل بقية البشر إنما يميزهم ربهم بالوحي الذي يبلغ الرسالة وعليهم أن يبلغوا دعوتهم للناس كي يعبدوا الله الواحد الأحد ويستغفروه وحده.

نهاية المسيح على الأرض بين القرآن والأناجيل:

ترتبط نهاية السيد المسيح على ارضنا بقضايا عديدة لا يمكن فصلها عن هذه النهاية، ومنها الإدعاء اليهودي والمسيحي بأنه صلب ثم مات ثم دفن ثم قام من بين الأموات ليرحل إلى السماء.

وقد فلسَفَ المسيحيون هذه القضايا وأولوا الكثير من النصوص حسب هواهم وقد اشتركت الأناجيل في الحديث عن صلب المسيح المزعوم وما رافق صلبه من قضايا أسطورية وخرافية.

تناول القرآن الكريم بعض الجوانب الحاسمة في قضية الزعم بصلب المسيح (ﷺ).

ففي سياق الحديث عن فساد بني إسرائيل يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

(1) النساء، 155 ـ 157.

ونستنتج من هذه الآيات القضايا التالية:

1. إن الذي أشاع قتل المسيح هم اليهود وصَدّقهم الآخرون.
2. المسيح لم يُقْتل ولم يُصْلب ولكن شُبّه لليهود أو شُبّه للآخرين أنه قُتِل.
3. الذين اختلفوا حول قتل المسيح وعدم قتله هم في شك في حقيقة قتله أو عدمه.
4. رفع الله المسيح إليه.

وقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية قوله: قال الحسن البصري ومحمد بن إسحق: لما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورُفِع عيسى من روزنة ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشُرَط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له وسُلّم لليهود.

عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب، وضلوا بسبب ذلك ضلالاً بعيداً مبيناً كثيراً فاحشاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرّج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي، فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام شاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنه في البيت إلى السماء، وقال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشر مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء

المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً)[1].

وخرج يسوع من البيت ومال إلى البستان ليصلي فجثا على ركبتيه مئة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة. ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه ذهب إلى رئيس الكهنة، وقال: إذا أعطيتني ما وعدت به أسلم هذه الليلة ليدرك يسوع الذي تطلبونه لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً، أجاب رئيس الكهنة كم تطلب؟ قال يهوذا: ثلاثين قطعة من الذهب، فحينئذٍ عد له رئيس الكهنة النقود فوراً، وأرسل فريسياً إلى الوالي وهيرودس ليحضر جنوداً فأعطياه كتيبة منها لأنهما خافا الشعب فأخذوا من ثم أسلحتهم وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصي. ويتابع برنابا في الفصل 215:

(ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوَّ جمّ غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل (وفي النسخة الإسبانية عزريل) سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تُسبّح الله).

وفي الفصل 216 يقول برنابا: (ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم لذلك تعجبنا وأجبنا، أنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن. أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه).

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص 72 – 73.

أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان استيقظ وهرب، ولما أمسكه جندي بملحفته الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عرياناً لأن الله سمع دعاء يسوع وخلص الأحد عشر من الشر.

في الفصل 217 يقول: (فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لأنه أنكر وهو صادق أنه هو يسوع فقال الجنود مستهزئين به يا سيدي لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكاً على إسرائيل، وإنما وثقناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة، أجاب يهوذا: لعلكم جننتم، إنكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كأنه لص أفتوثقونني أنا الذي أرشدتكم لتجعلوني ملكاً، حينئذٍ خان الجنود صبرهم وشرعوا يمتهنون يهوذا بضربات ورفسات وقادوه بحنق إلى أورشليم.

وتبع يوحنا وبطرس الجنود عن بعد وأكدا للذي يكتب (برنابا) أنهما شاهدا كل التحري الذي تحراه بشأن يهوذا رئيس الكهنة ومجلس الفريسيين الذين اجتمعوا ليقتلوا يسوع فتكلم من ثم يهوذا كلمات جنون كثيرة، حتى أن كل واحد أغرب من الضحك معتقداً بأنه بالحقيقة يسوع وأنه يتظاهر بالجنود خوفاً من الموت، لذلك عصب الكتبة عينيه بعصابة وقالوا له مستهزئين: يا يسوع نبي الناصريين، إنهم هكذا كانوا يدعون المؤمنين بيسوع، قل لنا من ضربك ولطموه وبصقوا في وجهه.

ولما أصبح الصباح التأم المجلس الكبير للكتبة وشيوخ الشعب وطلب رئيس الكهنة مع الفريسيين شاهد زور على يهوذا معتقدين أنه يسوع فلم يجدوا مطلبهم.

ويتابع برنابا وصف الحالة التي تمت فيها قصة يهوذا واعتقاله على أنه يسوع ليصل إلى عملية الصلب فيقول: (فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره، ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ: (يا الله لماذا تركتني فإن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلماً).

ماذا تقول الأناجيل الأربعة:

تفرد الأناجيل صفحات عدة للحديث عن مجريات الأحداث بدءاً بالحديث عن وشاية يهوذا بالمسيح (ﷺ) وانتهاء بقيامة المسيح.

جاء في إنجيل متى: وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب.

ويقول متى: فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع: أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً قد جدف.

وفي الإصحاح 27: ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي.

ويقول: ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها.

ويقول: حينئذٍ صُلِب معه لصّان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار.

وجاء في متى ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني.

ثم يقول: فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح.

ويقول: وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثيرون من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته.

ويقول متى: ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فأمر بيلاطس حينئذٍ أن يعطى الجسد. فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته

في الصخرة ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى، وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر.

أما إنجيل مرقص فيقول: وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.

ويقول: ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد، وكانت الساعة الثالثة فصلبوه... وصلبوا معه لصَّيْن.

ويقول: لما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ألوي ألوي لما شبقتني -الذي تفسيره إلهي إلهي لما تركتني-.

ثم يقول: فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل.

ويقول: ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع.

ثم يقول: فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر، وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع.

وجاء في آخر مرقص: ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله.

أما إنجيل لوقا فيقول: ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين، فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون، وإذا اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها.

ويقول: وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه ونادى يسوع بصوت عظيم يا

أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح ويقول: وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيراً ورجلاً صالحاً وباراً هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم وهو من الرامة مدينة لليهود، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله، هذا تقدم إلى بيلاطس جسد يسوع فأنزله ولفه بكتان ووضعه في قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط.

ويأتي في إنجيل يوحنا: وكان يهوذا مُسلّمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه، فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح.

ويقول: ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنّان أولاً لأنه كان حما قيافا.

وفي الإصحاح 19: فحينئذٍ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان.

ويقول: وأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة، حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط.

ويقول: فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح.

ويقول: ثم إن يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع.

مما تقدم نرى أن الأناجيل الأربعة جاءت على خبر القبض على المسيح (ﷺ) وقد أجمعوا على أن المسيح صُلب ثم دُفن ثم قام من بين الأموات.

وبعد أن أطلعنا على ما جاء فيها من ذكر لصلب المسيح وقتله حسب الأناجيل لا بد أن نتوقف عند حقيقة ما جرى ونفند ما قالوه عن صلب المسيح وقتله.

حين نتوقف عند دراسة نهاية المسيح على الأرض لا بد أن نتوسع في دراسة قصة صلبه التي وردت في الأناجيل الأربعة، ما هي مصادر القصة أولاً، ما هي موثوقية ما جاء

في الأناجيل ثانياً، ومن شهد على صلب المسيح ثالثاً، وكيف اخترع اليهود قصة الصلب والقتل ليدمروا عقيدة المسيح التوحيدية.

السند المنقطع في الأناجيل:

من المُسلّم به أنه لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد إدعاء فرقة أو فِرَق لا يكفي فيه.

وقد اعترف معظم الباحثين الغربيين أن من المشكوك فيه صحة نسبة الأناجيل إلى متى ومرقص ولوقا ويوحنا. كذلك لا يوجد أي سند يدل على أن هذه الأناجيل منزلة أو هي من كلام الله الذي أوحى به إلى المؤلفين وقد ادّعى القساوسة أن سبب فقدان السند وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة 313 سنة.

ويعترف الباحثون المسيحيون أن إنجيل متى كان باللسان العبراني وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية، والموجود الآن ترجمة لهذا الإنجيل ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم إلى هذا الوقت وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى أن هذا الإنجيل كتب في السنة 41 م، باللسان العبراني وباللسان الذي بين الكلداني والسرياني لكن الموجود منه الترجمة اليونانية، والتي توجد الآن باللسان العبراني فهي ترجمة الترجمة اليونانية.

ولم يثبّت بالسند الكامل أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه، فهناك من العبارات التي وردت فيه تخالف تماماً كونه الكاتب.

وقد قال الباحث استادلين: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية بلا ريب.

وقد قال المؤرخ هورن: ألّف الإنجيل الأول سنة 37 أو 38 أو 41 أو 43 أو 48 أو 61 أو 62 أو 63 أو 64 من الميلاد، وأُلّف الإنجيل الثاني سنة 56 وما بعدها إلى سنة 65،

والأغلب أنه أُلف سنة 60 أو سنة 63، وأُلف الإنجيل الثالث سنة 53 أو 63 أو 64 وأُلف الرابع سنة 68 أو سنة 69 أو 70 أو سنة 89 أو سنة 98 من الميلاد.

وعلى هذا فإن نسب هذه الأناجيل عديم الثقة وبسبب ذلك نرى أيضاً أن مؤلفي الأناجيل لم يشاهدوا الأحداث التي جرت مع السيد المسيح وقد نقلوها حسب مزاجهم أولاً وحسب ما أشاعه اليهود ومنهم بولس الذي هو المخترع الأساسي للعقيدة المسيحية الغربية؛ ثانياً وبسبب التأثير الفادح للفلسفة الأفلوطينية والعقائد الهندوسية والبوذية ثالثاً.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لم يثبت أن مؤلفي الأناجيل شاهدوا بأم أعينهم نهاية المسيح على الأرض وهي الصلب فالموت فالدفن، ولم يقل واحد منهم إني رأيت المسيح يُصْلب أو يُقْتل أو يُدْفن، فكيف نصدق ما جاء في هذه الأناجيل من صلب للمسيح وقتله ودفنه.

من كان شاهداً على صلب المسيح ونهايته على الأرض؟:

من خلال ما سطرته الأناجيل يجب أن نعرف من الذي شاهد المسيح وهو يُصْلب، هل شاهده تلاميذه أو حواريوه؟ هل شاهدته أمه مريم أو بعض رفيقاتها كمريم المجدلية أو غيرها؟.

تورد الأناجيل أن بطرس أنكر المسيح ثلاث مرات وتذكر أن يوحنا ألقي القبض عليه ثم هرب عارياً بعد أن وقعت ثيابه الملفوفة على جسمه بأيدي الجنود، أما بقية التلاميذ فلم تذكر الأناجيل أين كانوا وكيف اختفوا.

ومن خلال سياق الأحداث يتبين أن الذي لفّق قصة صلب المسيح وقتله ودفنه هم اليهود وعلى رأسهم كهنتهم حنان وقيافا ومن شابههم.

أما لماذا اخترعوا هذه القصة فإن أسباباً عديدة تقف وراء ذلك.

وقف اليهود معادين للسيد المسيح منذ أن بدأ بحوارهم وجدالهم، وعندما نقد سلوكهم وقرعهم على غلوهم وانحرافهم عن شريعة النبي موسى كادوا له وحاربوه ووقفوا ضد دعوته، طوال وجوده بينهم.

ومما يشير إلى اختراعهم تلك القصص سرقتهم للإنجيل الذي نزل على المسيح (عليه السلام). ولم يثبت قطعياً أن الإنجيل الذي نزل عليه موجود، إنما اختفى مع رفع المسيح مباشرة.

وتدّعي بعض الفرق المسيحية أن المسيح لم ينزل عليه إنجيل وليس هو بحاجة إلى إنجيل فكيف يكون المسيح هو الله وكيف يحتاج إلى كلام منزل من الله فكلامه هو الكلام المقدس وهو ليس بحاجة لمن يعلّمه حسب زعمهم.

وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم إنما هو ادعاءٌ ظناً منهم أنهم قادرون على قتله على الرغم من إدعائه الألوهية حسب ما جاء في الأناجيل، وعندما تورد الأناجيل قصة يوسف الذي هو من الرامة وكيف استطاع أن يقنع الوالي بيلاطس بأن يسلمه جسد المسيح لأنه لا يصح أن يبقى هكذا الجسد على الصلب يوم السبت، فإن الحقيقة غير ذلك، لأن المصلوب هو يهوذا الإسخريوطي وقد حرص هذا المدعو يوسف وهو يهودي على أن يكرّم جسد ابن دينه يهوذا، وينزله عن الصليب ويدفنه والعجيب أن الأناجيل لم تأت على ذكر اليهود وكهنتهم عندما أنزل يوسف الجسد المصلوب عن الخشبة ودفنه، أما كيف حمل جثته وكيف حفر القبر بالصخر فهذا غامض في الأناجيل.

وحتى يبقى الدين اليهودي هو الأصل فإن كهنة اليهود رفضوا دعوة المسيح ورفضوا عقيدته كما رفضوا العقيدة الإسلامية فيما بعد، لذلك اخترعوا ألوهية المسيح ونسبوها له أي أنهم زعموا أن المسيح قال عن نفسه أنه إله وكذلك اخترعوا قصة صلبه بنية الحط من شخصه وإهانته.

ولا ننسى أن الأقوال التي نُسبت إلى تلاميذ المسيح وتلاميذه عن ألوهية المسيح وصلبه هي أقوال صدرت عن أصول يهودية فجميع تلاميذ المسيح كانوا يهوداً وحتى بولس الذي اخترع المسيحية الوثنية كان يدعى شاؤول وهو من اليهود ومن ألد أعداء المسيح قبل أن يدّعي إيمانه به وبعقيدته التي تصورها هو نفسه وكانت وثنية بكل ما تعني الكلمة من معنى.

وعندما نتصفح بعض ما جاء عن المسيح في بعض كتابات التلمود البابلي نرى أن اليهود وصفوا المسيح بابن الزانية والهرطيق وكذلك قالوا عن مريم بهتاناً عظيماً.

(ومما يؤكد لنا افتراء مسألة الصلب وكذبها أن الأناجيل عند ذكرها لخروج روح المسيح عيسى (عليه السلام) نتيجة الصلب المزعوم تذكر أن الروح خرجت من عيسى في وقت عمّ الكون ظلام حالك من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة. وقرب التاسعة خرجت روح المسيح، ونحن نقول: لماذا لم تخرج روح عيسى في جلاء ونور حتى يتأكد الناس من موته إذا كان صلبه من أساسيات العقيدة الإيمانية التي جاء بها عيسى كما يزعم النصارى. ألا يدل ذلك على الكذب. وأن إخفاء ذلك على الناس بادعاء أن الكون كان قد لفته الظلمة وقت خروج روح المسيح يدل على أن كتّاب الأناجيل كانوا غير واثقين من ذلك الصلب لذلك اخترعوا مسألة الظلمة ليقنعوا بها أتباعهم بالصلب المزعوم حيث إنه لم يشاهد أحد المسيح أثناء خروج روحه)[1].

وقد جاء في كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، ص 446 ما يدل على أن المصلوب شخص غير عيسى، وهذا نصه: (في الأناجيل اليونانية (إيلي إيلي لما سبختني) فإذا وضعنا شيئاً موضع السين المهملة ووضعنا كافاً موضع الخاء – كما تقتضيه طريقة تعريب اللغة العبرية كان اللفظ هكذا – إيلي إيلي لما شبكتني أي إلهي إلهي لما أوقعتني في شبكة. ومحال على المسيح أن يقول ذلك لربه وهذه قرينة على أن المصلوب غيره. ولفظ الشبكة يوحي بأن يهوذا الذي دلّ اليهود على المسيح ليقتلوه خيّب الله مسعاه فنجّى عيسى وألقى شبهه على يهوذا ولما حدث هذا أحسّ يهوذا بالندم معترفاً بأن الذي ينصب لأخيه شبكة ليصيده بها فلا بد أن يقع هو فيها)[2].

ومما يؤكد عدم صلب المسيح ما جاء عن الحوار بين المسيح وبين كهنة اليهود حين قال لهم: إني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب، ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. متّى 23: 39، إن التحدي في هذا القول واضح، ذلك أن المسيح

(1) أحمد الجندي، عيسى بشر رسول وليس إلهاً، ص 111، دار الإيمان، مصر، دون ت.

(2) المصدر السابق.

يؤكد لأعدائه أنهم لن يروه منذ تلك الساعة حتى يأتي في نهاية العالم. لكن ذلك المصلوب رآه كهنة اليهود أسيراً في قبضتهم أثناء المحاكمة ثم رأوه بعد ذلك مصلوباً معلقاً على الخشبة قد أسلم الروح ولم يبق منه سوى جسد فَقَد نبض الحياة.

إن المسيح (عليه السلام) أدى رسالته ورفع إلى السماء، أنزل الله عليه الإنجيل مثلما أنزل على موسى (عليه السلام) الكتاب. ولو بقي إنجيل عيسى (عليه السلام) ولم يخفه اليهود لاتبعه في عقيدته التوحيدية الناس وظلوا على عقيدته التوحيدية دون أيما حاجة لتلك الهرطقات الوثنية التي ألّهت المسيح وادّعت أنه ابن الله وصلب.

انتهت حياة المسيح على الأرض وكرّمه الله سبحانه بأن رفعه إليه، وجعل اليهود خاسئين أذلاّء حيث خُذلوا وأبعدهم عن المسّ بالمسيح وقتله، لذلك آلوا على أنفسهم أن يقلبوا تلك العقيدة رأساً على عقب ويشيعوا بين الناس أن المسيح صُلب وقُتل وأنه ادّعى الألوهية، وانسحبت الخدعة الكبرى على من تبنى المسيحية ديناً ومعتقداً.

المسيح بشر ونبي بشهادة الأناجيل:

اختلفت الأمور على كتبة الأناجيل، فدمجوا بين مفهومي النبوة والألوهية في شخص المسيح (عليه السلام). وما كان ضرّهم لو اكتفوا بالقول بنبوّته دون الدخول في وثنية وتأليه البشر.

فبشرية المسيح دلّت عليها الأناجيل بصريح العبارة، وما على كل عاقل إلا أن يتفحص الأقوال الواردة على لسان من ألّفوا هذه الأناجيل.

فالأناجيل جميعها تقول أن عيسى كان ينمو ويكبر، وهل النمو إلا للمخلوقات من نبات وحيوان وإنسان.

وأن عيسى كذلك تجسّد وصار يأكل ويشرب، وهل التجسّد إلا للمخلوقات وهل يأكل ويشرب إلا الحيوان والإنسان المخلوق الضعيف الذي يحتاج للطعام والشراب ليتقوى ويتحرك في الحياة.

جاء في لوقا: أما الصّبي فكان ينمو ويتقوّى بالروح وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

وجاء في يوحنا الإصحاح 3/6 المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح، وأخبر عيسى بأن الله روح كما في يوحنا.

ويؤكد عيسى لتلاميذه أن يدققوا النظر فيه وأن يحبسوه حتى يتأكدوا من كونه جسداً وليس روحاً.

جاء في لوقا: 24: 39 – 43: انظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وبينما هم غير مصدّقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام، فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد العسل فأخذ وأكل قدّامهم.

فالمسيح جسد بشري تولّد من جسد بشري وليس روحاً منفصلاً عن الله تعالى وجاء في الأناجيل أن عيسى قد صُلب ونكّس رأسه وأسلم الروح حسب زعمهم، وما دام قد أسلم الروح وخرج منه فهو إنسان مخلوق يموت كما يموت أي مخلوق.

وجاء في يوحنا 8 – 40: ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله.

وجاء في لوقا على لسان اثنين كانا قد التقيا المسيح: فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبيّاً مقتدراً في الفعل والقوة أمام الله وجميع الشعب.

وجاء في متى: وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه.

أما نبوة المسيح: فإن الله سبحانه يبعث من البشر رسلاً لأقوامهم يبلغونهم الدين ولا يبعث الله نفسه أو آلهة تبلغ الناس.

الله سبحانه يرسل إلى البشر بشراً رسولاً لأنه يكون لهم معلماً نظرياً وسلوكاً فهو بذلك قدوة لهم ولو كان الرسول إلهاً أو ابن إله لكانت طبيعته وقدرته على تنفيذ أوامر الله

اقوى منهم ولا يستطيعون تنفيذ ما يستطيع هو تنفيذه، وبذلك يبطل كونه قدوة لهم، لذلك كان لا بد أن يكون الرسول بشراً كالبشر الذين أُرسل إليهم.

وقد جاء في يوحنا 13: 12 – 14: فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم، أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك فإن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض.

فنحن نرى أن عيسى أراد أن يعلم تلاميذه التواضع فبدأ بنفسه فغسل أرجلهم كي يقتدوا به فيغسل بعضهم أرجل بعض، وهل يجوز للإله الذي هو أعظم من الإنسان أن يغسل للإنسان رجليه أيقبل هذا من يعرف الله قدره وعظمته.

وجاء في يوحنا 8 – 40: وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله.

المعجزات والنبوة:

يفترض المسيحيون أن ما قام به المسيح من إحياء الموتى وإشفاء المرضى وما إلى ذلك من معجزات دليل ألوهيته، ويعتبرون أن هذه المعجزات لا يستطيع البشر فعلها حتى لو كانوا أنبياء.

والواقع أن الله سبحانه عندما بعث الأنبياء تباعاً أيدهم بمعجزات خارقة كسرت قوانين الطبيعة ونواميس البشر، فما من نبي إلاّ أيده الله بمعجزات، وهذا أمر طبيعي على العقل البشري أن يستوعبه ويؤمن به.

فإبراهيم (عليه السلام) ألقي في النار، ومن المفترض أن يحترق ويتفحم، لكن الله سبحانه أبطل خاصية النار، فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم.

وإبراهيم أصبح شيخاً هرماً وامرأته أصبحت عجوزاً وهي عاقر، فأجرى الله المعجزة فأصلح زوجته وحملت بإسحق وهي نفسها تعجبت عجباً كبيراً مما حدث. وصالح بعث الله

ناقة له ولقومه لتكون دليلاً على قدرة الله وعلى نبوة صالح، وأيوب أصابه مرض فتّاك لكن الله شفاه بقدرته، ويونس ابتلعه الحوت ومكث في بطنه مدّة لكنّ الله أجرى معجزته فأخرجه من بطنه ليعود ويبلغ النبوة، وموسى جُعلت عصاه ثعباناً بقدرة الله وجعلت يده بيضاء من غير سوء.

ومن معجزات الله لداود أن سخّر له الطير والجبال تسبح معه، وكذلك سليمان سخّر له الريح بمعجزة إلهية، وزكريا الذي كان قد هرم وكانت امرأته عاقراً دعا ربه فأجرى معجزة له فحملت زوجته وأنجبت يحيى.

والرسول محمد (ﷺ)، أجريت له معجزة الإسراء والمعراج، ثم معجزة القرآن وكذا العديد من المعجزات.

لذلك لم يخص الله المسيح وحده من بين سائر خلقه بإحياء الموتى له، وقد أحيا الله الموتى على يد كثيرين غير عيسى.

ففي العهد القديم ما يثبت أن من عباد الله من أحيا الله بهم الموتى وهم ليسوا آلهة ولا أبناء إلهة، وقد حدث ذلك ليثبت الله تعالى للناس أن هؤلاء الصالحين الذين أحيا لهم الموتى هم أنبياؤه ورسله أرسلهم إلى الناس لهدايتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له[1].

ففي سفر الملوك الأول الإصحاح 17 عدد 17 – 24: يرد أن النبي إيليا أحيا ولداً لامرأة من بني إسرائيل طلبت من إيليا رجل الله أي نبيه أن يحيي لها ولدها فاستغاث بالله فاستجاب دعاءه، فهل إيليا نبي الله أم أنه إله أو ابن إله؟.

تقول التوراة: (وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة، فقالت لإيليا مالي ولك يا رجل الله هل جئت إلي لتذكير إثمي وإماتة ابني، فقال لها: أعطيني ابنك وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها،

(1) أحمد الجندي، عيسى بشر رسول وليس إلهاً، ص 86، دار الإيمان.

وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال: أيها الرب إلهي أيضاً، فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه، فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه وقال إيليا انظري ابنك حي فقالت المرأة لإيليا: هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق)، وكلمة رجل الله تعني نبي الله.

وفي العهد القديم أيضاً أن امرأة شونمية بُشّرت من قبل أليشع بأن ستلد ابناً، وفعلاً تلد المرأة ولداً ثم ما لبث أن مات فذهبت إلى أليشع وطلبت منه أن يصلي لله كي يعيد الحياة لابنها، فدخل أليشع على الولد وهو ميت فصلّى لله ودعاه وتمدد على الصبي فأحياه الله بإذنه.

وجاء في سفر حزقيال 37: 1 – 10 أن الله أحيا عظاماً بالية كثيرة لموتى كثيرين لنبيه حزقيال عندما أمره الله لينادي عليهم فنادى فأحياهم الله له.

وقد جاء في هذا السفر: فقال لي يا بن آدم أتحيا هذه العظام فقلت يا سيد الرب أنت تعلم، فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً)، وهذا لا يعني أن حزقيال أو أليشع كانا من الآلهة ومثلهما مثل عيسى (عليه السلام).

أما شفاء المرضى فقد ورد في الملوك الثاني قصة نعمان رئيس جيش ملك آرام وكان أبرص فشفاه الله من برصه على يد النبي أليشع، إذ أمره أن يغتسل في نهر الأردن سبع مرات فشفاه الله.

وجاء أيضاً أن أليشع دعا لغلامه ففتح عينيه، ودعا على قوم فأعماهم الله، إذاً ما الداعي للقول بأن المسيح إله أو ابن إله؟ المسيح (عليه السلام) لم يأت بجديد إنّما أيّده الله بمعجزات مثله مثل بقية الأنبياء الذين سبقوه، وكل ذلك لتكون معجزات الله دليلاً على نبوته وتقوية لدعوته لديانة التوحيد.

نبوة المسيح في القرآن الكريم:

ذكر المسيح (عليه السلام) في القرآن مرات عدة، وجميع ذلك يشير إلى نبوته ورفض ما يدعيه المسيحيون من ألوهيته المزعومة.

والنبوة كما علّمها إيانا القرآن الكريم اختبار رباني لبعض البشر ليبلغوا عقيدة التوحيد للناس، فالله يصطفي من البشر أناساً ليكونوا أنبياء يرعاهم الله منذ البدء ويربيهم التربية المؤهلة للنبوة.

والمسيح ليس استثناءً، فهو كبقية أنبياء بني إسرائيل بُعث لهم بعد أن أفسدوا فآمنت به طائفة وكفرت طائفة.

وأيّده الله بروح من عنده وأنزل عليه الإنجيل، وأيّده بمعجزات عديدة تثبيتاً لما يقوم به ولما يدعو له.

يقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

فالآية تدلنا على أن نبوة المسيح (عليه السلام) تستلزم أن يكون متعلماً كل ما جاء في التوراة والإنجيل حتى يحقق دعوته لبني إسرائيل.

لقد بُعث المسيح (عليه السلام) لقوم محددين وهم بنو إسرائيل لذلك كان المسيح يعرف بالتفاصيل تعاليم كتاب النبي موسى والتوراة. فإذا حاول بنو إسرائيل جداله أو ينوون إحراجه كان على علم بكل تعاليم دينهم من عقيدة وتشريعات، ولهذا لم يستطيعوا أن يقيموا حجة عليه بل العكس تماماً لأنه هو من أقام الحجة عليهم من خلال نصوص كتبهم وأحكامهم.

فإن كانوا يؤمنون بالله ونبوة موسى وكتابه فعليهم أن يؤمنوا بالمسيح لأنه بُعث ليكمل رسالة أنبياء بني إسرائيل، فهو منهم، وبُعث إليهم وليس لأحد غيرهم.

---

(1) آل عمران، 48 – 49.

يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1].

وهذه هي الحجة البالغة لنبوة المسيح على بني إسرائيل، فهو مصدق بالتوراة التي هي كتابهم، وهو سيحلّل بعض ما حُرّم عليهم، لأنه يعرف تماماً تشريعات التوراة، وما حُرّم وما حُلّل لبني إسرائيل، فليس بعد ذلك حجّة لهم وما عليهم إلا الإيمان برسالته وبنبوته.

ثم يقول تعالى: ﴿اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2]، فإن كان بنو إسرائيل يشكّون في نبوته فهو يقول لهم: إن الله الذي تعبدونه هو ربي كما هو ربكم، فالدّين واحد والله واحد والطريق واحد.

ويقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[3].

فمن المستحيلات أنّ الله يؤتي إنساناً النبوّة ويُنزل عليه كتاباً أن يدّعي الألوهية ويقول للناس اعبدوني، لن يتجرأ إنسان عادي أن يفعل ذلك إلا إذا كان شاذاً تلبّسه الشيطان، ولكن من المستحيل أن يحدث ذلك مع نبي اختاره الله وربّاه على عينيه وهيّأه للنبوة وللرسالة.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4].

إن القول بأن المسيح إله هو كفر بأم عينه والله ينهى البشر جميعاً عن أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

(1) آل عمران، الآية 50.

(2) آل عمران، الآية 51.

(3) آل عمران، الآية 79.

(4) آل عمران، الآية 80.

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[1].

فالقول بألوهية المسيح مغالاة وغلو وكفر، لأن المسيح رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، إن الله إله واحد تنزّه عن أن يكون له ولد، ولا تقولوا ثلاثة فهذا من الوثنية والكفر فانتهوا من هذا الكفر، إنما الله إله واحد ولن يحتج المسيح على عبوديته لله ولا الملائكة المقربون، فكلُّ عباد الله مطيعون له منفذون لما أمر به، والحق الذي هو واضح وبيّن هو أن الله واحد فرد صمد وأن المسيح رسول وعبد لله، كما هي كافة المخلوقات التي خلقها الله لتعبده وتنزهه عن الإشراك.

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

فالمسيح بشر ونبي خاضع لقانون الله ولا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وغيره.

ويقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

فالنبوات متتالية وقد أتبع الله هؤلاء الأنبياء بعيسى ابن مريم مصدقاً بما أنزل على من قبله وأنزل الله عليه الإنجيل يهدي الناس وينير القلوب والطرق كما كانت التوراة تنير القلوب والعقول قبل أن يحرفها اليهود.

(1) النساء، 171 – 172.
(2) المائدة، الآية 17.
(3) المائدة، الآية 46.

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

لقد وضحت الآيات بالحجة الدامغة أن المسيح (عليه السلام) رسول سبقه رسل وأدّوا دورهم النبوي، والذين لفقوا وقالوا إن المسيح هو الله أو ثالث ثلاثة أصابهم الكفر، فالمسيح بشر رسول وأمه كذلك من البشر، ولو كانا إلهين لما أكلوا الطعام كالبشر، إن الله يدعو الذين كفروا وألّهوا المسيح أن يتوبوا إلى الله وينتهوا عن كفرهم، وإشراكهم وقد حذرهم الله إن لم يعودوا إلى الصواب والكف عن الكفر سوف يعذبهم الله عذاباً شديداً، إن المسيح في كامل دعوته كان يقول لبني إسرائيل إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم.

إن القرآن الكريم وضّح ميزات الرسل والأنبياء ووضّح ميزات النبي عيسى (عليه السلام).

فهو يدعو إلى عبادة الله الواحد فهو ربه وربهم وإلهه وإلههم.

وهو يدعو ربه ويستغفر له ويفتقر إليه.

وهو يُنكر على الذين كفروا ما قالوا بشأن تأليهه ولذلك لعنهم كما لعنهم مِنْ قبله الأنبياء.

وهو بشر يأكل الطعام وينام ويمشي هنا وهناك ويتكلم وهذا من صفات البشر التي أودعها الله بخلقه.

وهو مؤيد بالمعجزات مثله مثل بقية الأنبياء ولا ميزة له على غيره منهم، وهو فانٍ وليس خالداً وهذا قانون ينطبق على جميع الخلق.

(1) المائدة، 72 – 75.

وهو صاحب كتاب ورسالة والكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل وليست الأناجيل التي ألّفها متّى ومرقص ولوقا ويوحنا وغيرهم ممن نقل الأخبار الوثنية ولم يعاينوا بأم أعينهم المسيح ولا سمعوه بل سيطر عليهم الظن فحَرَفهم عن الدين الحق.

وهو من قال لبني إسرائيل بأنه مؤمن بما أُنزل من توراة وكتاب على موسى (ﷺ) فهو مكمّل للرسالات التوحيدية التي كانت منذ فجر التاريخ، ومثله في الخلق مثل آدم خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون.

وما قام به من معجزات جاءت بعون الله وبإذنه وليس بقوته هو أو قدرته، إن من ألّهوا المسيح خُدعوا من قبل اليهود وسقطوا في شَرَك مؤامراتهم التي استهدفت حرف عقيدة المسيح عن مسارها. ولو عادوا إلى العقل وإلى الخطاب القرآني لأدركوا أن الله ليس كالبشر وأنّ المسيح بشر ليس أكثر ولا أقل، وكل ذلك لا ينتقص من نبوته ورسالته.

الفصل الرابع

المؤثرات في العقيدة المسيحية

لعل من أهم الأمور التي يجب التوقف عندها ما يتعلق بالمؤثرات الخارجية التي ساهمت في صنع العقيدة المسيحية، وهي كثيرة جداً وقد ساهم في كشفها العديد من الباحثين العرب والأجانب.

ومع كل ما قالوه عن تلك التأثيرات لا بد من الإشارة إلى أمور أخرى تضيء الموضوع وتزيده جلاء.

وقبل الإشارة لا بد أن نورد عناوين تلك المؤثرات:

1. عقيدة التثليث عند الوثنيين والمسيحيين.
2. مفهوم الفداء عن الخطيئة.
3. الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين.
4. ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين والنصارى.
5. النجوم التي ظهرت عند ولادة أحد آلهة الوثنيين وولادة المسيح.
6. الجنود السماوية والاستدلال على ولادة بعض الآلهة والمسيح.
7. الاعتقاد بأن المسيح من سلالة ملكية.
8. تجربة الشيطان للمسيح.

9. نزول المسيح إلى الجحيم.
10. القيام من بين الأموات.
11. عودة المسيح إلى العالم.
12. الاعتقاد بأن المسيح خالق.
13. التعميد عند الوثنيين والنصارى.

وهذه الأمور وغيرها نشرت في كتاب للمرحوم محمد طاهر التنير بعنوان: "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"، وقد طبع هذا الكتاب عام 1912 م، وأعيد طبعه عام 1990، دون معرفة الدار التي طبعته.

وقد تناثرت أمور كثيرة كالتي أوردناها في كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي والمُؤَلف من جزأين.

وبعد، فإن الحديث عن المؤثرات في العقيدة النصرانية يسوقنا إلى القول إن طبيعة المنطقة العربية وما شهدته من عقائد وثنية وغيرها لم تعرف عقائد التثليث ولا الفداء ولا الصلب فهي غريبة عن البيئة العربية كثيراً ولا تمتّ لها بصلة.

وقد سبق المسيحية في المنطقة أديان عديدة وغالبيتها وثنية ومن بينها ديانة النبي موسى التوحيدية، فهذه الأديان لم تعرف مسألة الصلب للإله أو التثليث أو الأمور الأخرى التي أوردناها.

عقيدة التثليث:

مضى على ولادة المسيح أكثر من ألفي عام حسب تأريخ النصارى، وإذا رجعنا إلى بروز العقائد الأخرى التي انتشرت وتوسعت في إيران والهند واليونان والرومان، وجدنا أن الزرادشتية سبقت المسيحية بـ 600 عام ووجدنا أن البوذية سبقت المسيحية أيضاً بحوالي 600 عام، ووجدنا الهندوسية قد سبقت المسيحية على الأقل بـ 100 سنة، وهناك

من العقائد الوثنية الكثير مما انتشر عند الرومان واليونان، وقد عرفت الجزيرة العربية أو الحوض العربي عقائد وثنية عديدة لدى الفراعنة والبابليين والكنعانيين واليمنيين وغيرهم.

ومما وصلَنا عن الحضارات القديمة نرى أن التثليث انتشر عند الهنود بشكل واضح وقد انتشر هذا المفهوم في مناطق عدة.

وعندما دَوّنَ الكتّاب أناجيلهم بدت إشارات التأثير الهندوسي وغيره في عدد من المفاهيم التي أصبحت أساسية من العقيدة المسيحية، كالصلب والتثليث والقيامة وغيرها.

ومن المفترض أن العقائد قد تتأثر وتؤثر ما لم تكن إلهية العقيدة والتشريع، بمعنى أن العقائد الوثنية وكذلك المحرفة تأخذ من بعضها ما يحسّن عقائدها وتشريعاتها، ومن أهم الاحتمالات أن العقائد اللاحقة تأخذ من السابقة خاصة إذا كانت السابقة واسعة الانتشار وتمتلك القوة في النفاذ والسفر إلى بلاد أخرى.

ويبدو واضحاً أن مؤلفي الأناجيل ومن جاء بعدهم أمثال بولس ومن على شاكلته كانوا قد أطلعوا على فلسفات الهند وعقائدهم، وكذلك على التراث الأسطوري اليوناني والفارسي والروماني، وصبوا هذه الثقافة المكتسبة في كتاباتهم وتصوراتهم حول المسيح والمسيحية.

ويجدر بنا أن نتذكر أن لوقا كان يوناني الأصل، وثقافته يونانية وكان يعيش في أنطاكية الخاضعة آنذاك للسلطة الرومانية التي ورثت الحضارة اليونانية وثقافتها.

لقد أصبح من المؤكد أن العقائد الوثنية كثيرة التشابه وأسبابها عديدة ولما كانت إحدى أمم التاريخ في الأرض تنشر عقائدها وثقافتها وعلومها معها، وفي الوقت نفسه يدخل في عقيدتها أمور من عقائد أخرى.

يقول موريس في كتابه الآثار الهندية القديمة في المجلد السادس (كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي أي إن الإله ذو ثلاثة أقانيم).

ويقـول برتشـرد في كتابـه خرافـات المصريين الوثنييـن (لا تخلو كافـة الأبحاث الدينيـة المأخـوذة مـن مصـادر شـرقية من ذكـر أحد أنـواع التثليـث أو التولـد الثلاثي الآب، الابن، الروح القدس).

وجاء في كتاب سكان أوروبا الأول (كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم).

وقال العلامة دوان: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث أي القول بثلاثة أقانيم.

وفي اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) يدعون هذا التعليم (تري مورتي) ومعناها ثلاث هيئات أو أقانيم وهي (براهما وفشنو وسيفا) والثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة وهي الرب والمخلص وسيفا، ومجموعة هذه الثلاثة إله واحد، ولما أراد براهما أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو براهما الخالق، ثم انقلب إلى الصفة الثانية في الوجود فكان فشنو الحافظ ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك ويدعونها أحياناً (ألني. سوريا، وإندرا) وفشنو الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس.

ويقول المستر موريس في كتابه آثار الهند القديمة: "لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكّه مرور القرون صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه التعبير عن الثالوث، ويقول المستر فابر في كتابه أصل الوثنية: "وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من براهما وفشنو وسيفا هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة".

ويقول توما إنمن في كتابه (الوثنيون القدماء): "وكافة الرموز والإشارات عند النصارى كانت للدلالة على عبادة أشياء يُخجل منها، وليس بالإمكان نكران حقائقها"، ثم قال: "أتأمل أنه متى عرف الناس معانيها يتركونها ولربما يبقى بعض الناس متمسكين بهذه العبادة التي هي عندي قبيحة ووثنية".

وهناك الكثير من عقيدة التثليث عند المصريين واليونان والهنود الحمر في كندا وفي المكسيك وبلدان أوروبا الشمالية (السويد – الدانمارك..).

التثليث في المسيحية:

جاء في رسالة يوحنا الأولى 5/7: "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الآب، والكلمة، وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد".

وجاء في إنجيل متّى: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)، متى 28: 19.

وعقيدة التثليث هي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي ويرتكز على الإيمان بإله واحد أب واحد ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى. وبرب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي كان به كل شيء والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسّد في الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس وصُلب عنا على عهد بيلاطس وتألم وقُبر وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه والإيمان بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء.

أي أن الله الأب والله الابن والله الروح القدس فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير.

ويقول الأب بولس إلياس اليسوعي: "ليس الإله إذا كائناً تائهاً في الفضاء منعزلاً في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة وتفيض منها على الكون براءته، وهكذا يمكننا القول إن كنه الله يفرض هذا التثليث".

والقائلون بالتثليث يبنون عقيدتهم على أربع آيات رئيسية وهي:

1. إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الآب، والكلمة، والروح القدس، والثلاثة هم واحد.
2. أنا والأب واحد قول المسيح في إنجيل يوحنا.
3. الله ظهر في الجسد وهذا قول بولس الرسول.
4. في البدء كان كلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.

ويُفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة، ملازمة لذات الخالق.

وقد علّق الدكتور عبد المنعم جبري على الآيات الأربعة بقوله:

فالآية الأولى: إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب، الابن، الروح القدس، قيل إنها مضافة في القرن الخامس عشر، وقيل إنها ليست موجودة في كل النسخ اليونانية المكتوبة قبل هذا القرن، وإنه لم يستشهد بها أحد حتى ولا من الكتبة الإكليريكيين ولا من الآباء اللاتين الأولين على الرغم من أنها كانت تستهويهم للاستشهاد بها فيما لو وجدت فهي والحق يقال مضافة إلى الأصل، وإن جميع نسخ الأسفار الإلهية الحديثة في الأرض أجمعت الفِرَق والمذاهب على حذف هذه الآية بكاملها للدليل الراهن على أنها مزيدة في القرن 15 على الأصل إلا فرقة الكاثوليكية.

أما الآية الثانية أنا والأب واحد، إن قراءة هذه الكلمات كآية يستدل بها على أن يهوه هو الله والله يهوه ويسوع هما واحد... لكن الله ينصحنا ويقول (اقتن الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم)، لقد أوضح يسوع معنى هذه الوحدانية المتمكنة بينه وبين أبيه في الصلاة التي قدمها إلى الأب في آخر حياته البشرية فقال: ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل ايضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، وليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك وليكونوا هم أيضاً واحد فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.

وأقوال المسيح تُبطل التثليث، فيقول: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.

ويقول: إن أول الوصايا: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد.

ويقول: للرب تسجد وإياه وحده تعبد.

ويقول: وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى.

وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين سواه، فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه واحد وليس آخر سواه. ويقول ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح.

ويقول: لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره.

ويقول: واقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض ومن تحت وليس غيره.

ويقول: لا تدعوا لكم إلهاً على الأرض لأن إلهكم واحد الذي هو في السماء.

ويقول: اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا فإنه رب واحد.

ويقول: أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله.

ويقول: ليعلم الذين هم في مشرق الشمس والذي هم من المغرب أنه ليس غيري أنا الرب وليس آخر.

ويقول: إني أنا الله وليس غيري إلهاً وليس لي شبه.

ويقول: أنا الأول وأنا الآخر وليس إله غيري.

ويقول: إن إلهي أعظم مني.

ويقول: الله لم يره أحد قط.

مما تقدم من أقوال السيد المسيح النبي المرسل الطاهر ابن الطاهرة يظهر للعين بكل سموّ مثالي كمالي حدثي توحيدي[1].

مفهوم الفداء والصلب:

قال العلامة دوان: "إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداءً عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم".

وذكر هذه التقدمة عند الهنود سابق لعصر قيديك (قيدا) وكتاب الركفيدا يمثل الآلهة يقدمون بروشا وهو الذكر الأول قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق، وقد جاء في نص هندي: "وسيد المخلوقات (برجاباتي) قدّم نفسه ذبيحة للآلهة".

ويقول العلامة هوك: "ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة".

ويعتقد الهنود: بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم وتحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

ومن تعاليم الفشنو بورانا نعلم أنه بعدما رمى الصياد كرشنا بالحربة ندم وتضرع إليه بقوه: ارحمني أنا الذي أهلكتني الذنوب وأنت القادر على إهلاكي فأجابه كرشنا: لا تخف اذهب إلى السماء سكن الآلهة.

وقد صوّر الراهب جورجيوس الإله إندرا الذي يعبده أهالي النيبال مصلوباً وفي جنوب الهند يعبدون إلهاً صُلب اسمه بالي، ويعتقدون أنه فشنو تجسد ويصورونه مثقوب الجنب واليدين.

---

(1) د. عبد المنعم جبري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين، دار صفحات، ص 118 – 120.

وتمتلئ الهند بصور وتماثيل الآلهة المصلوبة، وقد نُقلت معظم هذه الصور إلى كتب الباحثين المتخصصين بدراسة تاريخ العقائد والأديان.

وقد وردت قصة صلب المسيح المزعومة في كافة الأناجيل المعتمدة لدى الكنائس.

وعندما نقارن ما ورد عند الهنود والشعوب الوثنية الأخرى بما جاء في العقيدة النصرانية من مسالة الصلب والفداء نرى أن المسيحية أخذت عن غيرها هذه العقيدة، وهذه من المؤثرات الفاحشة في هذه العقيدة التي أكّدها جلّ الباحثين في تاريخ الأديان ومقارناتها.

ما حدث عند صلب المسيح المزعوم:

من المعروف لدى الكثير من الأمم والشعوب أنهم يحيطون موت أحد أبطالهم وزعمائهم بهالة من الأمور الخارقة للعادة، وبعضهم يتخيل تخيلات بقصد وبغير قصد، إنما المعوّل عليه بالنسبة لما حدث أثناء صلب المسيح وموته المزعومين هو أن كتبة الأناجيل نقلوا تراث الشعوب إلى كتبهم وأرادوا من ذلك محاولة إقناع الناس بأن المسيح صُلب ومات، وأرادوا أن يحيطوا هذا الحدث بهالة من الخرافات الخارقة حتى يظن الناس فعلاً أن المسيح له صلة الأبوة بالله.

ولننظر إلى التراث الهندوسي ماذا يقول.

يقول الهنود: "إنه لما مات كرشنا مخلصهم على الصليب حدثت في الكون مصائب جمّة وعلامات متنوعة وأحاطت بالقمر دائرة سوداء وأظلمت الشمس عند نصف النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً، واندلعت ألسنة اللهيب وصارت الشياطين تفسد في الأرض وشوهد عند شروق الشمس وغروبها ألوف من الأشباح تتحارب في الهواء في كل جانب ومكان".

وفي كتابه (البوذية) يقول دافوس: "إن الهنود يقولون لما ابتدأ الحرب ما بين بوذا مخلص العالم وأمير الشياطين سقطت الوف النيازك الهائلة وامتد الظلام وتكاثف الغيم

حتى أن هذه الدنيا ببحارها وجبالها اهتزت وكأنها نفس تشعر وهاجت البحار من شدة الزلازل، وعادت مياه الأنهار إلى ينابيعها ودكّت رؤوس الجبال بما عليها من الأشجار التي عمّرت أجيالاً واشتد هدير العواصف في كل مكان، وكان صوت الانصدام هائلاً واحتجبت الشمس بظلام مدلهم وملئ الفضاء أرواحاً متهدرة".

وكذلك يتحدث العلماء والباحثون عن أمثال هذه الخوارق عندما صلب بروسيوس فوق جبل قوقاسوس، وكذلك يقولون في التراث اليوناني إن مثل هذه الخوارق حدثت عندما قتل المخلص اسكولا بيوس، وكذلك لما مات هيركلوس حدث ما يشبه هذه الخوارق، وكذلك يعتقد المكسيكيون الهنود أن الشمس أظلمت عندما مات المخلص كونز لكوتل.

وكذلك وجدت عند الرومان الوثنيين الخوارق نفسها خاصة عندما مات الإله كيبريبينوس حيث يقولون: لما صعد إلى السماء أظلمت الشمس.

ولننظر إلى الأناجيل ماذا قالت بمناسبة صلب المسيح وموته المزعومين.

جاء في إنجيل متّى: ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة.

وجاء في متّى: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لماذا شبقتني أي إلهي إلهي لما تركتني). متى 27/46.

وجاء في مرقص: (ولما كانت الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ألوي ألوي لماذا شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني). مرقص 15/33 و34.

وجاء في لوقا: (وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه، ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا ابتاه في يديك استودع روحي). لوقا 23/44 – 45.

وقد زيد في بعض الأناجيل أن أرواح عدد من القديسين قد خرجت بأجسادها من القبور.

ونلاحظ أن الحس الخرافي طغى على هذه المقولات، وقد رأينا في التوراة ما يشابه ذلك، فعند دخول يوشع إلى أرض فلسطين نزل مع جنوده في النهر فتوقف الماء عن الجريان وتأخر مسير الشمس ساعة، وغير ذلك من الخرافات التي تلف العقل التوراتي.

أما ما رد في الأناجيل فإنه من الواضح أن كتّاب الأناجيل أخذوا عن بعضهم هذه الروايات الخرافية ومن ثم فإن أول من قال بها أراد أن يضفي هالة خارقة حول ما يزعم من صلب المسيح وموته كعادة الشعوب الهندية واليونانية وغيرها.

والواقع أن المظاهر الطبيعية ليس لها علاقة بحياة الإنسان وموته فهي آيات إلهية كالشمس والقمر والشهب والزلازل والبراكين.

وقد علّمنا رسول الله (ﷺ) ذلك عندما توفي ابنه إبراهيم وصدف أنه كان كسوف في الشمس فظنّ الناس أن ذلك الكسوف مرتبط بموت ابنه، فقال عليه الصلاة والسلام فيما معناه: إن الشمس لا تنكسف لموت أحد، وكذلك القمر، فهما آيتان من آيات الله.

مريم العذراء والدة الإله يسوع المزعوم:

يأتي عند المسيحيين أن مريم العذراء هي والدة الإله مثل أمهات الآلهة عند الوثنيين، وهذا مشهور عندهم، فإلى هذا اليوم يقدس المسيحيون مريم العذراء على أنها أم المسيح الإله، باستثناء البروتستانت الذين لا يعيرونها أي تقديس بل يعتبرونها واسطة ولادة المسيح، وانتهى دورها بمجرد ولادته.

وفي الكنائس ينشدون الأناشيد التي تعظم مريم وتقدسها وما من كنيسة تخلو من صور لها مع طفلها المسيح، ولديهم أيام مخصوصة يسمونها الأيام المريمية ويطلقون عليها ملكة السماء، ووالدة الإله الممتلئة نعمة وصاحبة المجد على الأرض وفي السماء، وما شاكل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه.

وقد جاء في إنجيل لوقا: (فلما دخل عليها ملاك الرب قال: السلام عليك يا ممتلئة نعمة، الرب معك مباركة أنت في النساء)، وقد أقر مجمع أفسوس بألوهية مريم سنة 431م.

وتثبت الدراسات أن الوثنيين يعظمون أمهات الآلهة الصنمية ويلقبون بعضهن بألقاب التمجيد والتفخيم، وقد وجدت لدى البوذيين والهندوس صور عديدة لأمهات الآلهة في معابدهم.

وقد كان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيسيس أو والدة المخلص هورس بأسماء عديدة منها: السيدة، وملكة السماء، ونجمة البحر، ووالدة الإله والشفيعة والعذراء، ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها عشرة نجوم كما يصور المسيحيون العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشر نجمة.

وقد عبد أهل آشور وبابل عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله، واسم هذه العذراء (ميليتا) واسم ابنها تموز.

وقد ورد في سفر إرميا من التوراة أن اليهود كانوا يقدسون ما يسمى ملكة السماء، وقد جاء فيه: (إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السماوات، ونسكب لها سكائب، كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا في شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السموات وسكب السكائب لها احتجنا إلى كلّ وفُنينا بالسيف والجوع، وإذا كنا نبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب).

وإضافة لهذه المؤثرات فإن هناك عشرات المؤثرات الأخرى، ونؤثر أن نورد عناوينها دون تفصيلات منها:

النجوم التي ظهرت في المشرق عند ولادة أحد الآلهة وعند ولادة المسيح.

الجنود السماوية التي ظهرت عند ولادة آلهة وعند ولادة المسيح وهي تسبح الله.

الاستدلال على الطفل الإلهي وإكرامه بالهدايا.

مكان ولادة بعض الآلهة الذين ظهروا بالناسوت.

القول عن الآلهة المتجسدة أنها من سلالة الملوك.

الاعتقاد بطلب الملوك قتل الآلهة المتجسدة وكيف كان خلاصها.

تجربة الشيطان لأبناء الآلهة المذكورين وصيامهم لأربعين يوماً.

نزول بعض الآلهة المتجسدين إلى الجحيم لأجل خلاص الأموات.

قيام الآلهة من بين الأموات.

مجيء الآلهة المتجسدة التي قامت من بين الأموات إلى هذا العالم ثانية للدينونة.

الاعتقاد بأن الابن هو الخالق والمصور للكائنات.

التعميد لإزالة الخطيئة.

وقد وردت جميع هذه المؤثرات في كتاب المرحوم محمد طاهر التنير (العقائدة الوثنية في الديانة النصرانية).

الفصل الخامس

ألوهية المسيح المزعومة

هل المسيح إله أم ابن إله أم أنه بشر؟

ما هي دلائل ألوهية المسيح في الأناجيل؟

ما هي دلائل بشريته؟.

من الذي اخترع ألوهية المسيح؟

نعتقد منذ البداية أن الخلاف الجذري الأساسي بين عقيدة المسيح والعقائد التوحيدية وخاصة الإسلام يكمن في تأليه المسيح لدى المسيحيين، ونعتقد لو أن المسيحية لم تؤله المسيح لما بقي بين المسلمين وبينهم خلافات جذرية لأن ما يتبع بشرية المسيح وعدم ألوهيته يسقط كثير من جزئيات العقيدة المسيحية التي تؤله المسيح.

لماذا قال المسيحيون بألوهية المسيح؟:

1 - الولادة من دون أب، يظن المسيحون أن المسيح وُلد بنفخة إلهية وأنه بإرادة الله تجسّد وأصبح بشراً، وهو في الأصل حسب اعتقادهم إله نزل من السماء وتجسّد، والغاية من تجسُّده فداء البشرية والتكفير عن خطاياها، ولنا أن نسأل في هذا المجال عشرات الأسئلة.

هل كان الله بحاجة لينزل إلى الأرض ويدخل بطن امرأة تحمل به مدة تسعة أشهر، ثم يولد على شكل طفل رضيع، أليس الله قادراً إذا أراد أن يتراءى رمزه لأنبيائه أليس قادراً على أن يفعل أي معجزة حتى يؤمن الناس به؟.

لماذا اختار الله ذلك الوقت بالذات ليهبط من السماء، ويدخل رحم العذراء ثم يتجسّد، لماذا لم يحصل ذلك قبل مجيء المسيح مثلاً، أو بعده بمئات السنين؟.

ولو كان المسيح إلهاً تجسّد لما مرّ في مرحلة الطفولة وغيرها من المراحل، ومرحلة الطفولة تعني عدم وعي الطفل لما يفعل حيث يرضع من ثدي أمه ويبول ويخرج ويأكل ويشرب وما إلى ذلك من سمات البشر.

هل كان المسيح يعرف نفسه أنه إله عندما كان جنيناً في رحم أمه؟ وهل كان يعرف أنه إله عندما كان يبوّل أو يُخرج ويتنجس ثم تغسله أمه وتطهره.

وعلى المسيحيين أن يتذكروا أن آدم خُلق من تراب ولم يكن له أب أو أم فهل كان آدم إلهاً؟ وكذلك زوجه التي خُلقت من دون أم أو أب هل كانت آلهة.

إن مثل عيسى ابن مريم كمثل آدم خلقه الله من تراب، والخلق في الأصل واحد، لقد خلق الله آدم بشراً رجلاً ولم يخلقه طفلاً يترعرع وينمو وهذا أبلغ. ولأن المسيح وُجد في رحم امرأة بينما آدم لم يعرف رحم امرأة وكذلك زوجه التي خلقها الله لتكون شريكة له لينجبا الأولاد والبشرية جمعاء.

إن الله سبحانه منزه عن البشر فهو فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحداً فهل ينطبق هذا على المسيح؟ بالطبع فإنه لا ينطبق لأن المسيح وُلد من امرأة فهو بشر قابل للنمو، والفناء والمرض والتعب وغير ذلك مما يختص به البشر.

يقولون إن للمسيح طبيعتين إلهية وناسوتية وهذا حسب مذهب الكاثوليك ويقولون إن له طبيعة واحدة وهي طبيعة إلهية وهذا ما قال به الأرثوذكس فما هي طبيعة الإله؟

لقد أجمع العلماء وفلاسفة الشرق وحتى بعض فلاسفة الغرب أن الله صفات وطبيعة تختلف عن صفات وطبيعة البشر، فالله غير محدود فهو مطلق لا يحده زمان ولا مكان وهو كلّي القدرة وكلّي المشيئة خالق كل شيء ولم يُخلق من شيء قديم وليس هناك من قديم سواه.

إن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، لا تأخذه سنة ولا نوم وله من في السماوات والأرض خلق كل شيء وسيّره ونظّمه وهو الباقي ولا أحد يبقى من مخلوقاته.

والمسيح (ﷺ) مخلوق وليس خالقاً وإذا كان الله أيّده بأن أجرى بعض المعجزات على يديه كإحياء الموتى بإذن الله أو خلق ما يشبه الطير بإذن الله فإن ذلك لا يعني أن المسيح إله.

وقد ظن المسيحيون أن مسألة نفخ الروح من الله سبحانه في مريم تجعل المسيح إلهاً، ولكن الأناجيل نفسها تقول إن مريم وُجدت حبلى من الروح القدس وكذلك فإنّ أم يحيى المدعوة أليصابات امتلأت بالروح القدس أيضاً وعلى هذا لا فرق بين يحيى وعيسى فلماذا ألّهوا عيسى ولم يؤلّهوا يحيى.

وهذا يعني أن الروح مخلوق وقد مُدح الروح وذُمَّ كما جاء في الكتاب المقدس. والمدح والذم لا يلحقان إلا بمخلوق، فالروح مخلوق وليس منبثقاً من ذات الله ولا جزءاً من الله تعالى.

وقد بيّن عيسى أن هناك أيضاً أرواحاً نجسة وهي الشياطين (فالشياطين طلبوا منه قائلين إن كنت تخرجنا فائذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير وما دامت الأرواح قد وصفت الطاهر منها بالروح القدس والشرير منها بالنجس.. إذاً فالأرواح كلها من خلق الله لأن من يُمدح ويُذم هو مخلوق حتماً.

إن طبيعة المسيح تدل على أنه ليس إلهاً وإنما هو مخلوق كبقية المخلوقات خضع لتجربة الولادة والحياة والمعاناة والأكل والشرب وما إلى ذلك.

ونعتقد أن ما ورد في كتاب التوراة العبرانية الذي سُمّي بالعهد القديم من تجسيد للإله دخل في العهد الجديد أيضاً لتستمر خيالات التجسد في عقلية بني إسرائيل فالله تجسّد في التوراة كثيراً حسب ما كتب مؤلف التوراة نفسه، فالله يتجسد في سفر التكوين مرة في الجنة مع آدم ومرة مع إبراهيم ومرة كعمود من نار أو عمود من دخان، وتجسّد كشخص محارب مع يوشع، وكثيرة هي مقولات التجسد في العهد القديم.

ويبدو أن عقلية بني إسرائيل لم تكن لتتناسب مع طبيعة إلهية غير مجسدة فقد تعودوا أيام كانوا عند المصريين أن يروا الآلهة مجسّدة بأشكال متعددة لهذا طلبوا من النبي موسى أن يجعل لهم إلهاً مجسداً كما هو لدى القبائل التي رأوها أثناء الخروج ولهذا أيضاً صنعوا العجل في غياب موسى وقالوا عنه إنه إله إسرائيل.

وهذا ما يشير إلى أن الأسطورة والخيال كان لهما نفوذهما في كتاب العهد الجديد تماماً مثلما كانا ذا نفوذ في كتاب العهد القديم.

إن التحقيق العلمي الذي قام به رودولف بولتمان لكتاب العهد الجديد يوضح لنا كثيراً من الأبعاد الخيالية (الأسطورية) في الكتابات المسيحية المقدسة فقد بيّن لنا أن الناس في الأزمنة المعاصرة لتدوين العهد الجديد كانوا يعتقدون أن العالم يتألف من ثلاث طبقات هي الجنة والأرض والجحيم، وكانوا يعتقدون أنه يمكن للكائنات فوق الطبيعية أن تصعد وتهبط كما في مصعد سماوي.

وبهذا يجعلون تدخل كائنات فوق طبيعية والبعث والصعود والمجيء الثاني للمسيح أمراً قابلاً للتصديق[1].

(1) دانييل باسوك، المسيحية وأساطير التجسد، ترجمة سعد رستم، دار صفحات، ص 48 – 49.

الألوهية والتجسد والأسطورة:

إن الذين ألّفوا الأناجيل وضعوا عيسى (عليه السلام) في إطار ومحيط أسطوري عندما قيل عنه إنه وُلد من روح القدس ومن والدة عذراء.

وعلاوة على ذلك فمفهوم ابن الله الذي كان موجوداً قبل العالم ثم نزل بشكل بشري ليخلص البشرية يشابه تماماً بعض الأساطير القديمة للخلاص.

وعبارات العهد الجديد نزل من السماء تشير إلى حصول حركة في الفضاء ولا تصف طبيعة العمل التخليصي لله فهي أسطورية في شكلها.

والواقع إن إنجيل يوحنا الذي كتب في حوالي 90 – 95 يعتنق فكرة التجسد بل يذهب إلى أكثر من ذلك.

وقد أعلن كاتب هذا الإنجيل عن هدفه من كتابة إنجيله بكل صراحة ووضوح فقال وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، يوحنا 20: 3.

وفي هذا الإنجيل نجد الحديث بحقيقة طبيعة المسيح، قد تطور لدرجة عالية، وصار صريحاً جلياً حول طبيعة المسيح حين قال بكل صراحة إنه الله في قوله وكان الكلمة الله فلم يقل كانت الكلمة مع الله، وكانت الكلمة إله بل قال بكل وضوح وكان الكلمة الله.

ويؤكد هذا الإنجيل حادثة التجلي، أي تغير هيئة المسيح على الجبل لأن المجد الثابت والمتواصل لعيسى الأرضي لا يترك مجالاً لمثل هذا الأمر.

وفيه إشارات لكون عيسى كلّي العلم ولكون قدرته لا حد لها، وهو لا يعتريه التعب ولا الجوع والعطش، بل إن المسيح يعرف كل التفاصيل التي ستحدث معه ومن الواضح أن يوحنا يؤلف من خياله وأساطيره لأن الأناجيل أشارت إلى أن المسيح لم يكن كلّي العلم ولا كلّي القدرة ولا يعلم ماذا سيجري له، وإلا لماذا قال –حسب زعمهم– وهو معلق على الصليب: إلهي إلهي لماذا تركتني.

وقد ورد في متّى قوله (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء إلا أبي وحده).

فكيف يكون المسيح كلي العلم وهو يصرح بأنه لا يعرف عن ذلك اليوم شيئاً لا هو ولا الملائكة سوى الله سبحانه وتعالى.

ولو كان كلي القدرة لاستطاع إنقاذ نفسه من على الصليب، أو إنقاذ نفسه حين ألقي القبض عليه وراحوا يبصقون عليه ويعذبونه ويهينونه كما يزعمون.

ويبدو أن يوحنا صب مفهوم الحلولية والاتحاد في إنجيله وهذا ما لم نجده في الأناجيل الأخرى، لذلك من الممكن أن يرتبط هذا المفهوم بمفهوم التجسد.

وقد جعل يوحنا المسيح والله واحداً لا فرق بينهما، وقد جاء في إنجيله: (أنا والآب واحد)، ويقول كل من رآني رأى الآب.

وهكذا يتجسد الوسيط في عيسى الذي من خلاله يظهر الله ومن خلاله يُخبر عن هدف الله، وتتم إرادة المقدرة سابقاً منذ الأزل، فهذا الإنجيل يصور عيسى ممجداً متألهاً بشكل كامل.

إن إنجيل يوحنا هو تفسير لما يمثله المسيح، فهو يعبر عن فهم المعنى الألوهي لعيسى، ذلك الفهم والتصور الذي تطور ونما في دوائر المسيحية في نهاية القرن الأول.

إن ما يبدو أنه حصل خلال ستين عاماً بعد رفع عيسى كان أن لغة النبوة لله رفعت من تربة لتربة أخرى حيث إنها نقلت من تربة الفكر اليهودي إلى تربة جديدة هي تربة العالم الإغريقي الروماني فأخذت معنى جديداً عندما مدّت جذورها في تلك التربة الجديدة[1].

وقد أصبحت تفهم البنوّة في الجماعة المسيحية الجديدة على أنها تفيد أن عيسى هو الابن الوحيد المولود لله مما يؤدي لكونه من جوهر الله نفسه.

(1) دانييل باسوك، أساطير التجسد في الشرق القديم، ترجمة سعد رستم، ص 68.

ويبدو أن الثقافة الغربية الدينية التي ما عرفت عبر تاريخها القديم سوى الوثنية وتجسيد الآلهة رأت أنه من الطبيعي أن يكون الإله مجسداً فوجدوا ضالتهم في المسيح، وراحوا يفلسفون عقائدهم بحيث تتوافق مع حسهم الوثني الذي تأصلوا عليه.

لقد كان الترحيب والتهليل لفكرة عيسى إلهاً استجابة طبيعية لجماعة تؤمن بإله يُعتقد فيه أن من شأنه أن يكشف عن نفسه للإنسان ويُعرّف نفسه للإنسان.

إن الفترات التي تم فيها تدوين الأناجيل تشير إلى أن تطوراً في النظرة إلى عيسى من النظر إليه على أنه لوجوس الله (أي كلمة الله إلى النظر إليه على أنه نفس الوهية الله بعينها فلم يعد عيسى مجرد لوجوس بل صار يعد الله نفسه، والاعتراف به إلهاً اعتراف بسلطة وربوبية حكم الله بواسطة عيسى).

إن المشكلة المعقدة هي أن المسيح نفسه لم يقل أنه الله تجسد بشكل المسيح وإنما برزت هذه الفكرة فيما بعد وعلى الأرجح برزت منذ عام 325 م أي عندما أقرّ قسطنطين مؤتمر نيقية الذي حضره حوالي 2048 كاهناً ليقرروا طبيعة المسيح.

لقد كان قسطنطين وثنياً ولذا أراد أن يحافظ على وثنيته بأسلوب جديد حينما أراد من الكهنة المسيحيين أن يجسّدوا المسيح على أنه الله. ومن المعروف أن مؤتمر نيقية شهد معارضين لفكرة الألوهية، وكان آريوس من أشد المعارضين لهذا التأليه.

وهكذا منذ هذا المؤتمر أخذت تتراكم فكرة ألوهية المسيح وتجسده حتى طُبقت فكرة هبوط الله لعالم الدنيا وتجسده على شخصية عيسى التاريخي مبدلاً النظرة إلى عيسى التاريخي إلى عيسى الإله.

وعندما تؤخذ عبارة ابن الله بمعناها الحرفي تصبح تأكيداً لتركيبة أسطورية مأخوذة من الأسطورة الهندوسية (تجسدات الإله فشنو عند الهندوس) أو مثل أنصاف الآلهة الأسطوريين في اليونان القديم[1].

(1) المرجع السابق، ص 71.

وتميل هذه الأسطورة لتأكيد وإثبات قوى اسطورية شبيهة بقوى الإنسان المتفوق (السوبر مان) لعيسى ولا سيما لمعجزاته وهبوطه للأرض.

على أية حال فإن وقفات عدة لا بد منها لكي نصل إلى قناعة راسخة بأن المسيح بشر وحاشى أن يقول عن نفسه إنه إله، وكل ما قالوه عن عملية التجسد ليست إلا أسطورة من الأساطير التي لفت الحضارتين الرومانية واليونانية واللتين أخذتا هذه الأساطير من عالم الشرق العربي القديم.

ما الذي يدفع الإله لكي يتجسد على شكل إنسان وما حاجة الله للتجسد.

الله سبحانه له من الصفات والأسماء ما لم تكن لمخلوق قط، احتفظ لنفسه بعلمه المسبق الذي لم يطلع عليه بشر، خلق الإنسان الأول آدم وقدر له أن يعيش تجربة الامتحان في الجنة ثم في الأرض، وامتلأت الأرض ببني الإنسان كي يعيشوا هذا الامتحان الكبير، وخلق الجنة والنار لتكونا نهاية المطاف كلٌ حسب ما قدّم من عمل. لذلك كان الفصل بين الخالق والمخلوق فلا يصح ولا يمكن أن ينقلب المخلوق خالقاً أو ينقلب الخالق مخلوقاً.

والله الذي خلق الإنسان ويعرف مسبقاً ما مصيره ويعرف أن بشراً سيكفرون ويكون عقابهم جهنم وكذلك يعرف أن بشراً سيؤمنون ويكون مصيرهم الجنة هذا الإله ليس بحاجة كي يتجسد كبشر ليكفّر عن خطايا البشر، وكيف يتجسّد ليُكفّر الخطايا وهو في الأساس خلقهم كي يمتحنهم وكل إنسان مسؤول عن عمله.

إن فكرة التجسد توحي مباشرة بأن الله يندم على فعله في خلق الإنسان، وطالما هناك عقاب وثواب وجنة ونار فلا داعي للتجسد كي يغفر الخطايا.

إن اعتقاد المسيحيين بالتجسد والفداء وتكفير الخطايا يعني أن الله سبحانه ليس كلّي القدرة، ألا يعرف الله في علمه أن الإنسان سيخطئ ويكفر ويشذ على وحدانية الله؟.

إننا حين نتذكر سفر التكوين وبالتحديد الحديث عن نوح والطوفان نتذكر قول التوراة التي تنسب لله الندم، حيث قال (لا أعود أفعل الشر بالأرض)، حيث يبين سفر التكوين ندم الله على فعله، فهل يعقل أن هذا الإله الخالق الكلي القدرة يندم على فعل قام به؟

وعندما يقولون إن الله تجسد كي يفدي البشرية ويكفر عن أخطائها ألا يخطر في بال أي إنسان سؤال يقول، هل غفر الله ذنوب الناس الذين أتوا قبل عيسى أم أن الغفران يطال كل البشرية، بمعنى هل يغفر خطايا من جاؤوا بعد المسيح؟.

إذا كان الأمر كذلك فلا داعي لأي بشر أن يؤمن بالله ويعمل صالحاً لأن الله غفر مسبقاً كل ما يجترحه الإنسان من ذنوب.

وإذا كان المقصود غفران ذنوب من سبقوا المسيح فحسب فما معنى أن يغفر الله للقدماء ولا يغفر للآخرين أم أن الآخرين مصيرهم جهنم لأنهم خارجون عن مغفرة الله.

إن اعتقاد المسيحيين بالتجسد والفداء وتكفير الخطايا اعتقاد ساقط إذ أن الفكرة من أساسها تناقض نفسها بنفسها.

وما بال المسيحيين اليوم وهم أكثر من مليار إنسان، هل يشملهم الغفران أم أنهم خارجون عنه؟ أم أن البابوات يمنحونهم صكوك غفران جديدة حتى يدخلوا في رحمة الله ويكون مصيرهم الجنة والنعيم؟.

والأغرب من ذلك أن فكرة التجسد جرت على هذا الإله مصائب جمة، فلأنه تجسّد فرض على نفسه أن يفدي البشرية وذلك من خلال إهانته وصلبه وقتله، حسب ما يرى المسيحيون، وهل كان يعلم هذا الإله أنه سيُهان ويُصلب ويُقتل؟ فإذا كان يعلم ذلك فهو ليس بإله لأن الله الخالق لا يرضى لنفسه الذل والمهانة والصلب والقتل، خاصة على أيدي البشر الذين خلقهم هو. وإذا كان لا يعرف فإن ذلك ينفي عنه علم الغيب فهو أيضاً ليس بإله.

إنهم يقولون إن كل ما حدث يعلمه المسيح – الله – لكي يتم الكلام الذي تنبأ به الأنبياء فهذا الكلام مردود عليهم لأن المسيح لو كان يعلم نهايته وهو على الصليب حسبما يزعمون لما قال إلهي إلهي لماذا تركتني، فأين الله الذي تجسد ثم يقول إلهي لماذا تركتني؟.

إن المسيح (عليه السلام) نبي مرسل كبقية الأنبياء وحماه الله من بني إسرائيل فلم يُصلب ولم يُقتل بل كرمه الله ورفعه إليه مكرماً معززاً.

وحينما يقولون في أناجيلهم أن الله قال عن المسيح (ابني الوحيد) فهل حقاً أن الله اختار واحداً من بين ملايين البشر ليقول عنه إنه ابنه الوحيد، إذاً لماذا خلق الله البشر، ولماذا بعث الأنبياء والرسل فهل المسيح وحده هو ابن الله الوحيد، ولماذا لم يقل إن ابني إبراهيم أو موسى أو يوسف أو يعقوب أو غيرهم من الأنبياء فقط يختار الله واحداً من بين مئات الملايين ليكون ابن الله الوحيد، وكأن كلامهم يقول لنا إن الله خلق البشر والأنبياء وراح يفكر فيمن يختار ليكون ابنه الوحيد فإذا به لم يجد أحداً يستحق البنوة فأشاح عنهم وجهه وأخذ يقلب الأمور إلى أن خطر في باله خلق المسيح من دون أب ليكون من بعدئذٍ ابنه الوحيد، وإذا كان المسيح حقاً ابن الله الوحيد فما مكانة بقية البشر من الذين خلقهم الله هل هم أبناء الشيطان أم أبناء آلهة أخرى، ما مكانة الأنبياء الذين اختارهم الله ليبلغوا رسالته التوحيدية وعانوا ما عانوا في سبيل ذلك.

وإذا كان المسيح ابن الله الوحيد فما موقف أبيه داود وأبيه إبراهيم، ألم تقل الأناجيل إن المسيح ابن داود وابن إبراهيم، إذاً فلتحذفوا نسب المسيح الذي يعود إلى داود وإبراهيم أو فلتحذفوا ابن الله الوحيد ليبقى المسيح ابن داود وإبراهيم وأخيراً ابن آدم.

وللتوضيح أكثر ننظر كيف فهم المسيحيون المسيح صاحب الطبيعتين وكيف ران على عقولهم فجمعوا المتناقضات التي لا يقبلها عقل ولا منطق.

يصف آرمينوس وهو لاهوتي هولندي بروتستانتي عيسى بأنه: (ابن الله وابن الإنسان ومؤلف من طبيعتين).

ويعلن الراهب الألماني مارتن لوثر زعيم حركة البروتستانت: "أننا نخرج الطبيعتين المتمايزتين في شخص واحد ونقول الله هو إنسان، وإنسان هو الله".

أما جون كالفن الكاهن البروتستانتي السويسري فيقول: "إن الألوهية في المسيح توحدت واتحدت تماماً مع البشرية بنحو احتفظت فيه كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها المتميزة كاملة تامة وبالوقت نفسه شكّلت الطبيعتان مسيحاً واحداً فقط".

فعلى الرغم من ذلك لم ينص الإنجيل على أن عيسى ذو طبيعتين.

إن فكرة الطبيعتين في عيسى هي في الواقع من نتاج الفكر الفلسفي اليوناني المؤسس على مقولات المادة والجوهر ويمكن كذلك أن تكون هذه الفكرة ثمرة ونتيجة لوصف ثنائي لعيسى الأول وصفه كبشر والثاني وصفه كإله[1].

والغريب في الدراسات التي تناولت شخصية المسيح وتحدثت عن طبيعته اقتصرت على الباحثين واللاهوتيين الغربيين مما يؤكد ما نقوله دوماً من أن الذوق الغربي هو ذوق وثني في أساسه ولم يتخلص الغربيون منه حتى بعد تبنيهم المسيحية، لقد اختلطت الأساطير اليونانية والهندية وغيرها في فلسفتهم وترسخت في نفوسهم وأذهانهم وعندما تبنوا المسيحية وجدوا أنه من الذوق المناسب أن يضفوا على المسيح شيئاً من الأسطورة الوثنية فجسّدوه على أنه إله أو ابن إله، وعندما ردوا على الكهنة الذين رفضوا تأليه المسيح أمثال آريوس والشمشاطي كانوا ينطلقون من مبدأ أسطوري غربي فمن يعارضهم كأنما يعارض الذوق الغربي والفلسفة الغربية الوثنية.

ومن المهم أن نذكر أن العديد من الباحثين الغربيين المعاصرين نقضوا ونقدوا اللاهوتية الوثنية الغربية، إذ أعملوا العقل والمنطق ورفضوا مقولة التأليه والتجسد، واعتبروها أساطير لا تتوافق مع العقل والمنطق.

أغسطس سترونغ أحد الباحثين في هذا الشأن في عام 1907 قال: "إن اتحاد الطبيعتين في شخص المسيح هو بالضرورة مبهم يستحيل فهمه لأنه ليس له أي نظير أو مثيل في تجربتنا"[2].

ويعلق دانييل باسوك بقوله: "وهنا نقول: ألا يمكن أن يكون السبب في كون عقيدة التجسد في المسيحية لغزاً وسراً هو المزج لصورة تاريخية مع صورة أسطورية خيالية؟".

---

(1) دانييل باسوك، المسيحية وأساطير التجسد، ترجمة سعد رستم، ص 72، دار صفحات.

(2) المرجع السابق.

وعندما نعترض على فكرة التجسد ونرفضها لأسباب كثيرة، فإن ما قلناه في اختيار المسيح ابناً لله يتجسد إجحافاً بغيره من الأنبياء والرسل والبشر، فالمسيح لا يزيد عن غيره في شيء.

إن عقيدة المسيحية بتفرد عيسى واستثنائيته وموقف الكنيسة من انحصارية التجسد بعيسى فقط كان العقبة التي لا تذلل أمام التوحيد بين الكنيسة المسيحية وبين أي دين آخر غير مسيحي.

إننا عندما نرى بعمق العقائد الهندية نرى حالات تجسد كثيرة لا تقتصر على واحد فقط، ونعتقد أن بعض اللاهوتيين المسيحيين انتبهوا لهذه المسألة فرأوا أنه يمكن أن يحدث أكثر من تجسد وليس فقط في شخص المسيح بذاته.

فتوما الأكويني خرج بمذهب منفرد يدعو فيه إلى إمكانية تجسدات أخرى لله ففي كتابه المسمى Summa الجزء 3 المسالة 3 الفقرات 5 و8، يبين توما أنه كان من الممكن لكل من الأب أو روح القدس أن يتجسد تماماً مثلما فعل الابن.

ويبحث توما في إمكانية حصول تجسدات لكل إله من الله الثالوثي ويستنتج أن ذلك ممكن.

وتظهر روح التناسخ التي نراها في العقيدة الهندوسية في أقوال توما عندما نسمعه يقول: "إن الابن – الكلمة الأزلية قادر تماماً على أن يتجسد مرة أخرى في روح وجسد فرد إنساني آخر مختلف مولود من أم أخرى، أو مولود من أم وأب من جنس مختلف وعرق مختلف وفي بلد آخر وزمن آخر، ومتكلماً لغة أخرى ومستخدماً نموذجاً من الصورة البشرية مختلفة تماماً عن المسيح ليبشر برسالته ويشرح العلاقة بين الله والعائلة البشرية"[1].

وأخيراً يرى توما: أن الابن لم يختر الطبيعة الإنسانية بسبب الصفات الخاصة التي يمتلكها عيسى، ويقول: "الله لم يصرْ إنساناً لأجل أن يكون يهودياً ذكراً من أهل القرن الأول الميلادي ذا طول وعرض ولون كذاك، بل الله اختار الإنسان لكي تكون لله طبيعة جنس الإنسان ككل".

(1) المرجع السابق، ص 76.

الفصل السادس

عودة المسيح إلى الأرض

عودة المسيح حسب العقيدة المسيحية.

عودة المسيح حسب الدين الإسلامي.

كيف ينظر اليهود لفكرة مسيح منتظر.

البروتستانتية وعودة المسيح وارتباطها بهرمجدون، الحرب النووية الكبرى.

تشكل عودة المسيح مفهوماً راسخاً لدى العقيدة اليهودية والعقيدة النصرانية والدين الإسلامي، لكن هذه العودة تختلف جذرياً بين العقائد الثلاث.

فالمسيحية فلسفت هذه العودة حسب عقيدتها المبنية على موت المسيح وقيامته وقد فسرت بعض نصوص الأناجيل من قبل اللاهوت المسيحي تفسيراً يخدم ما توصلوا إليه من أمور تتعلق بطبيعة هذه العودة.

يرى مفسرو الأناجيل أن المسيح ابن الإنسان سيأتي مرة أخرى في يوم يسمونه يوم الدينونة.

فهم يرون أن يوم الدينونة هو يوم الله، يوم غضبه ولكنه أيضاً يوم الرب يسوع يوم المخلص، ذلك اليوم هو يوم ظهوره الأخير، وتجليه حين يأتي من السماء تواكبه ملائكة قدرته، إنه يوم ابن الإنسان الجالس عن يمين القدير والآتي على غمام السماء، أو إنه عودة ابن الإنسان.

ونحن هناك أمام ظهور إلهي مثالي ونهائي، هذا اليوم يوصف بالمفردات الرؤيوية وهي تستخدم عناصر كونية.

وحتى إذا كان ذلك اليوم منتظراً فهو هنا منذ اليوم وبقيامة المسيح تم هذا المجيء لأن الذي آمن بيسوع واقتبل العماد قد مر بالموت والقيامة مع المسيح، ذلك بأن قيامة المسيح هي مجيئه الثاني وهو جالس عن يمين الله، وهذا ما نراه بوجه خاص في إنجيل يوحنا.

وتأتي ساعة فيها يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون وفي الوقت نفسه وبعد ثلاث آيات (فتأتي ساعة فيها يسمع صوته جميع الذين في القبور).

ويرى اللاهوت المسيحي أنه بعودة المسيح تجري دينونة العالم لأن ظهور المسيح في القدرة هو في الوقت نفسه حضوره كديّان الكون، ذلك بأن وظيفة الديّان تطابق وظيفة الإدارة التي هي إجراء الحكم.

بحكم العادة نعرف أن الله هو الذي يدير الكون فهو الذي يمارس الدينونة وفي العهد الجديد فإن يسوع هو الذي ينال هذه المهمة التي عهد الله بها إليه فهو الذي يشرف على دينونة العالم كما أنه هو بصفته رباً يدير الكون.

ويرى اللاهوت المسيحي أنه عند عودة المسيح في القدرة يكون تجمع البشر والأمم وبينهم يتم فرز الأخيار والأشرار ويكتمل العهد ويزدهر.

إن هذا الفرز بين المباركين والملعونين هو الموضوع الأساسي الذي يتضمنه تقليد الدينونة الأخيري وغايته أن يحشد بهذا الفرز شعب الله كما هو في الحقيقة.

أما مكان ذلك الحشد فهو الأخيرية، إن الديّان يظهر على غمام السماء على النحو الذي غادر به هذا العالم فيقوم الأموات.

ويرى اللاهوت المسيحي أن الغاية الأخيرة من الدينونة أو من يوم الرب هي وصول ذلك الذي يأتي ليجمع خاصته ويقدمها إلى أبيه، ومن واجبهم على مثاله أن يمروا

بالاضطهادات والموت للدخول في الملكوت الذي أعدّه لهم وحينئذٍ يرى الناس ابن الإنسان آتياً في الغمام في تمام العزة والجلال، وحينئذٍ يرسل ملائكته وجميع الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع من أقصى الأرض إلى أقصى السماء[1].

وفي رؤيا يوحنا فإن المسيح تظهر قدرته فيأتي قريباً وعند مجيئه سيضع نهاية للتاريخ.

ويرون أن الرب – المسيح – سيأتي بغتة في طرفة عين عند النفخ في البوق سيأتي الرب من السماء وسيدعو الأموات من بطن الأرض إلى حياة جديدة.

ويمكن تلخيص الرؤية المسيحية الخاصة بعودة المسيح يوم الدينونة بما يلي:

1. حصول كوارث طبيعية قبل المجيء.
2. المسيح يدين العالم نيابة عن الله باعتباره حسب معتقدهم ابن الله أو الله.
3. لا يحدث يوم الدينونة إلا بعد النفخ في البوق ومجيء المسيح.

عودة المسيح في الرؤية البروتستانتية:

تختلف رؤية أصحاب المذهب البروتستانتي عن بقية المذاهب المسيحية في رؤيتهم لمفهوم عودة المسيح.

فهم يرون أن المسيح عندما يعود ليهبط من السماء فوق مدينة القدس يقود البشرية في المعركة النهائية العظمى التي سيشهدها الجيل المولود منذ عام 1948 م، في هارمجدون بفلسطين حيث سيبلغ الدم شكائم الخيل لمسافة عشرين ميلاً، وعندما يموت جميع سكان العالم تقريباً تحل لحظة الخلاص العظمى في ذلك الوقت سيذبح الملايين من اليهود الأتقياء وستنجو قلة منهم يخبئها الرب لنفسه لأن اليهود هم شعب الله المختار.

---

(1) الأب أوغسطين دوبره لاتور، دراسة في الإسكاتولوجيا، الموت والقيامة، دار المشرق، بيروت، ص 62 – 63 – 6.

وقيادات الإنجيليين في أميركا يؤمنون بضرورة تدمير الكون بالأسلحة النووية للتعجيل بيوم الرب العظيم.

ويرى دعاة البروتستانتية إن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقون سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء.

ويرون أن المسيح سيأتي ليأخذ الناجين أثناء الخطف، ويرون أن عودة المسيح الثانية تبدأ بحرب ضد المسيح الدجال.

ويربطون نزول المسيح بتدمير المسجد الأقصى، وهم يعتقدون أن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه. ويعتبرون أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى بإسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألف سنة في جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق ويرون أن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينته القدس ثم يضرب المحتشدة في مجيدو أو هرمجدون فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة 200 ميل من القدس.

ويقول ليندسي أحد أقطاب البروتستانت في أميركا: "إن القوة الشرقية وحدها سوف تزيل ثلث سكان العالم، وعندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى بحيث يكون كل شخص تقريباً قد قتل تحين ساعة اللحظة العظيمة فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل، وفي هذه سيتحول من نجا من اليهود إلى المسيحية".

ويقول ليندسي: "سيبقى 44 ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون وسينحني كل واحد منهم الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح".

ويقول فولويل وهو أحد زعماء البروتستانت الداعين إلى حرب هرمجدون: "إن كل المبشرين بالكتاب المقدس يتوقعون العودة الحتمية للإله"[1].

(1) غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، جميع الدعوة الإسلامية.

وإضافة لهذه الرؤية فإن البروتستانت كبقية المذاهب المسيحية يؤمنون بأن المسيح يدين البشرية في ما يسمى يوم الدينونة، فيذهب المسيئون إلى الجحيم والمؤمنون إلى النعيم.

عودة المسيح في نظر اليهود:

لا يؤمن اليهود بالمسيح بن مريم قطعاً بل إنهم يرون فيه ابن زانية وهرطيقاً وخارجاً على الشريعة والقانون وهذا ما جاء في بعض كتاب التلمود وهو عندهم رجل عادي كفر بدعوة اليهود فقتلوه على حد زعمهم.

ولا يزال اليهود إلى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي يُمَلِكهم الأرض ويجعلهم سادة العالم.

ويزعم اليهود أن قائماً يقوم فيهم من ولد داود النبي إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود، وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به، قالوا ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معاً، وأن البقرة والدئب يرعيان معاً، وأن الأسد يأكل التبن كالبقر، فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه، وأقاموا ينتظرون حتى يأكل الأسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح، ويعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من غيرهم.

ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة وقد عوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال فإنه هو الذي ينتظرونه حقاً وهم عسكره والناس أتباع له ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقولون ورائي يهودي[1]. ومفهوم انتظار المسيح لدى اليهود قديم جداً قدم تأليف التوراة، وهم إلى

(1) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص 153.

هذه اللحظة ينتظرون أن يُبعث لهم، ويبدو ذلك واضحاً لدى الفرق اليهودية المتعصبة المستندة على ما كتب في كتابهم التلمود أكثر من استنادهم على نصوص التوراة.

وعندهم شروط وعلامات لمجيء المسيح المخلص وأهم هذه الشروط أنه يكون يهودياً من أحد اسباطهم.

بينما ترى بعض الفرق اليهودية أنه قيام ما يسمى دولة (إسرائيل) مخالف لتعاليم الدين إذ لا يجوز قيام دولة لليهود إلا بعد مجيء المسيح، ومن هذه الفرق فرقة ناقوري كارتا (حراس المدينة) المعارضة للفكر الصهيوني.

عودة المسيح في الرؤية الإسلامية:

حين نتعرض لدراسة مفهوم عودة المسيح في الرؤية الإسلامية لا بد أن نتوقف عند بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول الكريم محمد (ﷺ) وعند بعض التفسيرات المبثوثة في المراجع الإسلامية.

وهناك أخبار عن عودة المسيح (عليه السلام) وصراعه مع المسيح الدجال وجماعته.

ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1].

قال ابن جرير عن عدة رواة عن جبير عن ابن عباس: (قبل موت عيسى ابن مريم) وقال ابو مالك في تفسير الآية: (ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وإنه الآن حي عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعين)، وقيل إن الله رفع إليه عيسى وإنه باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر.

ويقول ابن كثير: والمقصود من السياق الإخبار بحياته الآن في السماء وليس كما يزعمه أهل الكتاب الجهلة أنهم صلبوه بل رفعه الله إليه، ثم ينزل من السماء قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة مما سبق.

(1) النساء، الآية 159.

قال الإمام أحمد حدثنا شريح، حدثنا فليح عن الحارث عن فضيل عن زياد ابن سعد عن أبي هريرة قال: قال رسول (ﷺ) "ينزل عيسى ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل ويذهب جمة كل ذات جمة، وينزل من السماء رزقها وتخرج من الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره وترعى الغنم والذئب ولا يضرها ويرعى الأسد والبقر لا يضرها" تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي وصالح.

وقال البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها".

وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو بكر بن مردويه والإمام أحمد.

وروى أحمد ومسلم من حديث الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: "ليمكثن عيسى ابن مريم بالروحاء فيقومن منها بالحج أو بالعمرة أو اثنتيهما جميعاً".

وفي حديث رواه الإمام أحمد يقول عن أبي هريرة: "وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصّران كان رأسه يقطر ماء وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزى ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الأمم كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون".

وروى البخاري: "فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهرودتين (ثوبان مصبوغان بالورس) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات نفسه حيث ينتهي طرفه".

يقول ابن كثير في الفتن والملاحم: هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق وفي بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ.

ويقول ابن كثير متابعاً: ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له: يا إمام المسلمين يا روح الله تقدم فيقول تقدم أنت فإنها أقيمت لك. وفي بعض الروايات أنه ينزل ببيت المقدس وفي رواية بالأردن وفي رواية بعسكر المسلمين.

وقد ثبت في الصحيح أن يأجوج ومأجوج يخرجون في زمانه ويهلكهم الله ببركة دعائه في ليلة واحدة، وثبت أيضاً أنه يحج في مدة إقامته في الأرض بعد نزوله.

وقال القرطبي: وتكون وفاته بالمدينة المنورة فيصلى عليه هناك ويدفن بالحجرة النبوية وقد ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر.

وقد قال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر وهذا حديث حسن غريب.

ماذا يقال عن المسيح الدجال؟:

حينما نتحدث عن المسيح الدجال فإن حديثنا ذو علاقة بالسيد المسيح (ﷺ) وقد نرى الكثير من الأحاديث المسيحية التي تتناول الدّجّال اعتماداً على بعض نصوص التوراة والأناجيل وتفسير بعض النبوءات التي وردت لدى بعض أنبياء بني إسرائيل ولدى يوحنا في رؤيته المعروفة.

ويطلق اللاهوتيون المسيحيون على الدجال –ضد المسيح– وهي تعني عدو المسيح. يرى اللاهوتيون أن يوم الرب الأخير لا يأتي ما لم يأت هذا الدجال المعروف بالمسيح الدجال.

ويرون أنه يكون من اليهود وكثيرون منهم قالوا إنه يكون من سبط دان، وقد عرفت ذرية دان بالدهاء والمكر، وقد اعتمدوا على أقوال من التوراة خاصة في سفر إرميا، ويرون أن عدو المسيح يخرج من سبط دان بجيشه يحارب الكنيسة في كل الأرض ويلدغ المؤمنين بسموم تجديفه.

ويرون أن مقر حكم الدجال سيكون في القدس ويقوم بتجديد الهيكل اليهودي كمركز لعمله وأنه يجلس في هيكل الرب ليس فقط في القدس وإنما في كل كنيسة ويحمل قوة إبليس، ويكون حكمه بقوة الشيطان لأنه هو المستولي على هذه الدولة الظالمة المظلمة الضالة.

ويرون أن مدة حكمه ثلاث سنين ونصف، وقد ينتشر سلطانه ويمتد حكمه إلى أقاصي الأرض كلها حيث يكون له أتباع في كل مكان يحملون لقب ملوك وولاة ليرغموا الناس على الإقرار بألوهيته.

ويورد اللاهوت المسيحي أن الدجال يأتي بمعجزات قد تضل الكثيرين منها أنه يشفي نفسه من جرح قاتل ويجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض أمام أعين الناس ويجعل لنفسه تمثالاً ينطق ويتكلم وذلك بقوة الشيطان وتمثله وألاعيبه.

ويرى اللاهوت المسيحي أن نبياً كذاباً يرافق الدجال ويحمل سلاحه ويدعو الناس إليه وإلى دعوته، ويقولون إنه عندما يظهر يؤمن اليهود به ويتبعونه على أنه المسيح المنتظر الذي ينتظرونه ويقود حرباً ضد العرب وبعد انقضاء ثلاث سنوات ونصف يقتل الدجال ويباد كثيرون.

وتقول الروايات المسيحية أن الدجال عندما يظهر يؤمن به اليهود ويتبعونه على الرغم من إدعائه الألوهية، أما سر قبولهم للدجال فهو تفكيرهم المادي وتفسيرهم للنبوءات تفسيراً حرفياً، ويظنون أنه يحقق لهم نبوءاتهم ويقودهم أمام أعين أعدائهم المنظورين، ويؤمنون به على أنه المسيح المنتظر، ويقود اليهود في حرب ضد العرب.

ويدعي اللاهوتيون المسيحيون أن الدجال يباد بطريقة معجزية وعندها يدرك اليهود خطأهم التاريخي فيطلبون أن يدخلوا في الإيمان المسيحي[1].

المسيح الدجال في الرؤية الإسلامية:

وردت في المراجع الإسلامية عشرات الأحاديث النبوية التي تحدثت عن الدجال وفتنته ومنها ما جاء على صفات الدجال وشكله ومنها ما جاء عن فتنته وما يقوم به من أعمال يخدع بها الناس.

فمن صفاته الجسدية أنه أعور وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها قوله (ﷺ): "إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه لقد أنذر به نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلموا أنه أعور وإن الله ليس بأعور".

وحديث آخر يقول: "إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجّال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية".

ويقول: "الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر".

ويقول: "وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه".

وللمسيح الدجال فتن كثيرة وردت في حديث نبوي شريف أورده ابن كثير في كتابه الفتن والملاحم، قال فيه: "ومن فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائحة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح عليهم مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدرّه ضروعاً وإنه لا يبقى على الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيها من

(1) روماني فاروق المسيح الدجال، الطبعة الأولى 1988، القاهرة.

نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فيُنقّى الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص".

فقالت أم شريك ابنة أبي العكر يا رسول الله: فأين العرب يومئذٍ، قال: "هم قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم فصلى الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى ليتقدم بهم عيسى يصلي فيضع عليه الصلاة والسلام يده بين كتفيه فيقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى أقيموا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلّى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً ويقول عيسى إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب الدار الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء بها خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله".

قال رسول الله (ﷺ): "وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه قصيرة يصبح أحدكم على باب المدينة فما يصل إلى بابها الآخر حتى يمسي"[1].

أما عن مكان خروجه فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: حدثنا رسول الله (ﷺ) "أن الدجال يخرج في أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة"، (صوت الحديد إذا ضرب بعضه).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): "يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان".

(1) ابن كثير، الفتن والملاحم، ص 65.

ومن حديث عن سمرة بن جنادة قال: قال الإمام أحمد أن رسول الله (ﷺ) خطب بعد صلاة الكسوف خطبة قال فيها: "وإنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وإنه يحصر المؤمنون في بيت المقدس ويزلزلون زلزالاً شديداً ثم يهلكه الله حتى إن هِدْمَ الحائط وأصل الشجرة لينادي يا مؤمن هذا يهودي".

وجاء أيضاً في حديث آخر رواه الإمام أحمد في مسنده: "إنه يخرج من يهودية اصبهان حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام بمدينة فلسطين باب لد فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يمكث عيسى في الأرض سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً" تفرد به أحمد.

وقد ذكرت أحاديث عديدة حول ما يعصم من فتنة الدجال، منها الاستعاذة من فتنته، وكان (ﷺ) يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وكان يقول: "اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن فتنة القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال".

وهناك عشرات الأحاديث المتواترة حول الدجال وصفاته ومكان وجوده ومقتله وفتنته، وقد وردت في صفحات طوال من كتاب الفتن والملاحم للحافظ ابن كثير.

الفصل السابع

مريم والمسيح في نظر المذاهب المسيحية

لا شك أن ما يتعلق بالمسيح من ألوهية مزعومة ومن نبوة قسم المسيحيين إلى طوائف وملل تخالف بعضها بعضاً في العقيدة أساساً، فمن هذه الفرق من ظل يؤمن بأن المسيح نبي رسول وليس إلهاً ومنها من قال بألوهيته وظل على هذا الاعتقاد. وعندما نريد أن ندرس نظرة الفرق والمذاهب المسيحية للمسيح وأمه مريم يتحتم علينا أن نطلع على كافة المؤثرات الخارجية كالعقائد والفلسفات والتي أثرت بشكل مباشر وآخر غير مباشر في تلك النظرة العقيدية.

1. ولعل ذلك أمر طبيعي لأن إنجيل عيسى (ﷺ) فُقِدَ ولم يعرفه أحد وبقيت بين أيدينا الأناجيل المؤلفة من قبل متى ومرقص ولوقا ويوحنا، وغيرهم من كتبة الأناجيل.
2. ولأن الاستعمار الروماني الذي كان جاثماً على فلسطين وأرض الشام كان وظل يتمسك بعقيدته الوثنية حتى عام 325 عندما تبنى قسطنطين المسيحية كعقيدة رسمية للإمبراطورية الرومانية.
3. وكذلك لأن العالم آنذاك كان يعيش في تجاذب عقيدي وفلسفي بين اليونان والرومان والفرس والهند وغيرها من المناطق، وهذه العقائد اتسمت أيضاً بأفكار فلسفية عديدة.

هذه العوامل الثلاثة أثرت بشكل كبير في الميول العقيدية التي تبناها من دخل المسيحية على مدى عدة قرون.

ومع التفحص الدقيق لتلك الملل والمذاهب والفرق المختلفة والمتناقضة نرى أن منها من كان قديماً وتلاشى ومنها ما اتسعت دائرته الجغرافية لتشمل عدة أقاليم، ومنها ما ظل حياً إلى يومنا هذا مع الأخذ بعين الاعتبار ما قام به رجال الدين واللاهوت المسيحي من تطوير للأناجيل والعقيدة بشكل عام.

ولا ننس أن الصراعات العقيدية بين تلك الفرق والمذاهب امتدت بشكل كبير واضطهدت بعضها بعضاً واستعان بعضها بقوة السلطة ضد المعارضين والمخالفين، وحتى هذه الأيام ظل التناقض يأخذ مجراه بين تلك المذاهب وإن اتسم حديثاً بالهدوء وعدم الوصول إلى القتل أو إنهاء طرف لطرف آخر بالقوة.

ومن خلال رجوعنا إلى مجريات التاريخ المسيحي نرى أن مرحلتين أساسيتين مرتا على تطور نظرة المسيحيين للمسيح على أنه إله أو نبي فقط.

المرحلة الأولى هي منذ المسيح وحتى الربع الأول من القرن الرابع الميلادي أي حتى تبني الرومان للعقيدة النصرانية، والمرحلة الثانية تبدأ منذ القرن الرابع ميلادي وحتى هذه الأيام.

ولا شك أن ما يحيّر، هو ما إذا كان تلاميذ المسيح الأوائل يؤمنون بأن المسيح إله أو نبي، ونعتقد دون جزم بأن الحواريين كانوا يؤمنون بأن المسيح نبي، وهذا ما أشار له القرآن الكريم، وما أشار له إنجيل برنابا، أما الأناجيل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا فقد ألفت بعد رفع المسيح بـ أكثر من 60 سنة، وما ورد فيها من فقرات تشير إلى ألوهية المسيح أخذها المسيحيون مقياساً للألوهية.

على كل حال فإن التلاميذ الأوائل لم يشكلوا مذهباً أو طوائف مختلفة، فهم كانوا أفراداً ليس أكثر.

ونعتقد أن الأوائل ممن آمن بالمسيح نبياً ظلوا على منهجهم حتى حرفه بولس وقال بألوهية المسيح، وهناك من الدراسات التي تشير إلى ذلك التحريف.

يقول المرحوم الدكتور علي عبد الواحد وافي: (لم تمضِ بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية وافدة إليها أحياناً من فلسفات قديمة وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بها المسيحيون)[1].

الفرق الأولى التي انحرفت عن عقيدة التوحيد:

المرقيونيون: وتنسب هذه الفرقة إلى مرقيون أو مرسيون وهو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيساً وحكم عليه بالطرد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين أحدهما الإله العادل أو الإله ديميدرج أي الخالق أو المهندس وهو الإله الذي اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة، والآخر الإله الخير الذي ظهر متمثلاً بالمسيح، وخلص الإنسانية من خطاياها، وقد كان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه.

ثم يقوم هذا المذهب على رفض كتاب التوراة في جملته وتفاصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار الأناجيل، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا الإنجيل مثل إنجيل لوقا ورسائل بولس ولا يعترف بها إلا بعد إدخال تغييرات كثيرة عليها تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى.

ويقال إن لهذا الفرقة إنجيل خاص بها ولكنه اندثر ولم يعرف شيء عنه، ومن الواضح تأثر هذا المذهب بالزرادشتية التي تؤمن بوجود إلهين أهورامزدا إله الخير وأهرمان إله الشر والشيطان.

(1) علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص 121.

الفرقة البربرانية: كانت تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً ويقول المؤرخ ابن البطريق: "ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ويسمون الريميتيين، ولعل هؤلاء الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب الله به عيسى ابن مريم إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1].

وقد انقرضت هذه الفرقة في نهاية المرحلة الأولى، والاتجاه لتقديس مريم ترك آثاراً ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية، وتتمثل هذه الآثار في عدة معتقدات وطقوس خاصة بالسيدة مريم تعتنقها جميع الفرق المسيحية ما عدا البروتستانت.

فرقة إليان: وهي تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله وتصور حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به كما النساء بالأجنة، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال بالصورة التي تظهر في المرآة فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً كما في الحقيقة.

وقد انقرضت هذه الفرقة باستثناء بعض الجماعات الصغيرة الموجودة حتى القرن السادس الهجري أي الثالث عشر الميلادي في اليمن والشام.

أما فرقة التثليث وألوهية المسيح فهي الفرقة التي تذهب إلى أن الإله ثلاثة اقانيم وهي الآب والابن والروح القدس، وأن الابن أو الكلمة هو المسيح، وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقية سنة 325 م ومجمع القسطنطينية الأول عام 381 م.

(1) المائدة، الآية 116.

فرق التوحيد المسيحية:

من الطبيعي أن نرى بعض الفرق التي رفضت الوهية المسيح، كما رأينا أن بعض الفرق انحازت عن التوحيد، والحقيقة أن الفرق التوحيدية ظلت على مبدأ المسيح (عليه السلام)، ولكن قوة الفرق الأخرى المدعومة من الدولة الرومانية ظلت تحارب فرق التوحيد حتى أبادت معتنقيها ولم يبق منهم إلا القليل.

ومن أهم الفرق التي رفضت الوهية المسيح وظلت على اعتقادها بأنه نبي:

الأبيونية، والشمشاطي، والأربوسية.

1 - **فرقة أبيون والأبيونيين:** أتباع أبيون وكانت هذه الفرقة تعتبر أن المسيح هو المنتظر الذي تحدثت عنه بعض أسفار التوراة، وتنكر ألوهيته وتعتبره مجرد نبي رسول، ويقال إن لهذه الفرقة إنجيلاً خاصاً بها وهو باللغة الآرامية.

2 - **الشمشاطي:** وكان بولس الشمشاطي أسقفاً لأنطاكية منذ سنة 260 م، وأنكر ألوهية المسيح، وقرر أنه نبي ورسول فقط، وقد عقد بأنطاكية ثلاثة مؤتمرات منذ 264 – 269 م، للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه ورفضه، وقد بقي لمذهبه أتباع حتى القرن السابع الميلادي.

ويذكر ابن حزم الظاهري الأندلسي عن بولس: "انه كان بطريرك أنطاكية وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبده ورسوله كأحد الأنبياء عليهم خلقه الله من بطن مريم من غير رجل وانه إنسان لا ألوهية فيه.

3 - **الأريوسيون:** هم أتباع آريوس وكان قسيساً في كنيسة الإسكندرية وكان داعياً قوي التأثير، واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه وقد قاوم الكنيسة التي كانت تقول بألوهية المسيح، فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله، إنما هو بشر مخلوق وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من عبارات توهم بأن المسيح إله، ويرى أن الآب وحده هو الله والابن مخلوق مصنوع، وقد تبعه خلق كثيرون في مصر وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية.

وقد حاربته كنيسة الإسكندرية حتى اضمحل مذهبه بعد عام 325 م، وانقرض هذا المذهب نهائياً في أواخر القرن الخامس الميلادي.

المسيحية الغربية ومسؤولية التحريف نحو الوثنية:

عندما نعود إلى دراسة تاريخ المسيحية في الشرق والغرب نرى أن التحول الكبير في عقيدة المسيح حدث على يد قسطنطين، الإمبراطور الروماني، ولو أن الرومان لم يتدخلوا بقوة في هذه العقيدة لظلت العقيدة النصرانية عقيدة توحيدية ولاندثرت جميع الدعاوى القائلة بألوهية المسيح.

لقد كان الرومان وثنيين وتعودوا عبر القرون أن يروا الإله مجسداً له تمثال فهو كالبشر لا أكثر ولا اقل، وعندما أراد هذا الإمبراطور قلب عقائد الوثنية الرومانية إلى المسيحية لم يستطيعوا أن يفهموا أن الله سبحانه مجرد عن التمثيل والتجسيد والتجسيم لأن مؤثرات الوثنية كانت فيهم قوية إلى حد كبير جداً.

لقد صدّر الشرق عقائد التوحيد إلى العالم خالصة صافية من الوثنية والتحريف لكن الذين اتبعوا اليهودية والنصرانية أرادوا أن يشوهوا عقائد التوحيد الشرقية فأدخلوا الكثير من التحريفات على العقيدتين حتى رأيناهما اليوم على ما هما عليه من تحريف وعنصرية ووثنية.

وقد بدأ التحول عندما دعا قسطنطين أكثر من ألفي كاهن مسيحي للاجتماع في مؤتمر دولي (مسكوني) لتحديد طبيعة المسيح، ولما اشتد الخلاف بين الأكثرية الموحدة والأقلية الوثنية رأى قسطنطين أن ذلك سيخالف مزاجه الوثني وما ألفته الوثنية، فانفض الاجتماع دون التوصل إلى نتيجة مما حدا به إلى دعوة 318 كاهناً من المؤيدين لألوهية المسيح في اجتماع آخر، وصدر أمره بألوهية المسيح ومحاربة القائلين بغير ذلك وأصبحت الوثنية المسيحية مذهب الدولة وكل من يخالف ذلك يعاقب بالموت.

وعندما نعود إلى تاريخ المسيحية في أوروبا نرى ان عدة مؤتمرات عقدت ليقرر فيها الكهنة طبيعة المسيح وعقيدة التثليث وما إلى ذلك من قضايا عقيدية حرفت المسيحية أكثر فأكثر.

نظرة المذاهب المسيحية المعاصرة للمسيح:

استقر وضع الفرق والمذاهب المسيحية على فرقتين كبيرتين، وهما فرقة الكاثوليك وفرقة الأرثوذكس، وفرق صغيرة كالموارنة، وعندما دخل القرن السادس عشر ظهرت فرقة البروتستانت على يد مارتن لوثر في ألمانيا وبقيت هذه الفرقة حية إلى يومنا هذا، وقد تركز الكاثوليك في أوروبا الغربية وأميركا اللاتينية وتركز الأرثوذكس في روسيا واليونان والشرق العربي، خاصة في مصر لدى أقباط مصر.

وبغض النظر عن التمركز والاختلافات الجغرافية والمرجعيات يمكننا أن ندرس نظرة هذه المذاهب والفِرَق للمسيح.

تتفق جميع المذاهب الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت على الوهية المسيح، وتختلف في بعض القضايا العقيدية، ومنها طبيعة المسيح والروح القدس ومريم، ويلتزم الجميع بعقيدة التثليث، وتقوم هذه العقيدة على:

1 - الإيمان بإله واحد أب واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض صانع ما يرى وما لا يرى.

2 - وبرب واحد يسوع المسيح الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء وصلب حياً في عهد بيلاطس وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، والإيمان بروح القدس الرب المحيي.

بدا الاختلاف بين مذاهب المسيحيين في طبيعة المسيح، وقد تساءلوا هل طبيعته واحدة لأنه إله أم أن له طبيعتين إلهية وبشرية لأنه ابن الله وابن الإنسان كونه جاء من مريم فيكون بذلك قد جمع بين اللاهوت والناسوت.

وقد أخذت بالطبيعة الواحدة الكنيسة الأرثوذكسية في مصر التي ضمت إليها الحبشة ويطلقون عليها المرقصية نسبة إلى مرقص صاحب الإنجيل الثاني.

وبشكل عام فإن الأرثوذكس في البلاد العربية وغيرها من البلاد يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح، وهي الطبيعة الإلهية.

وقد لخص هذا المهب صاحب كتاب (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر)، بقوله: "إن كنيستنا المستقيمة الرأي (الأرثوذكسية) ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية نعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني أقنوم الابن تجسد من روح القدس من مريم العذراء مصيّراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستمالة بريئة من الانفصال، بهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة"[1].

وأخذت بالمذهب الآخر – وهو أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية – كنائس أخرى وعلى رأسها الكنيسة الكاثوليكية التي يتبعها الآن البابا في الفاتيكان، وقرر هذا المذهب بصورة حاسمة مجمع خليكدونية المنعقد سنة 451م، ويرون ان للمسيح طبيعتين وأن الألوهية طبيعة واحدة والناسوتية طبيعة أخرى منفصلة، وقد التقت الطبيعتان في المسيح، ويرون أن مريم العذراء ولدت إلهاً وهو الرب يسوع الذي هو من أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة البشرية وشهدوا أن للمسيح طبيعتين واقنوم واحد ووجه واحد، وقد أطلق على هذا المذهب الملكاني بسبب مناصرة الإمبراطور الروماني له.

(1) الأناجيل – ط. دمشق 2008 – ص 9 – 106.

وفي سنة 667م ظهر مار مارون وقال بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وهي مشيئة إلهية، فرفضت هذا القول الكنيسة الرومانية القائلة بالطبيعتين والمشيئتين، وواجه مارون ضغطاً من الرومان بسبب ذلك، والموارنة ينتشرون في جبل لبنان وبعض مناطق سوريا، وفي العصور الأخيرة انحاز الموارنة إلى القول الكاثوليكي بالمشيئتين والطبيعتين.

ويبقى أن نشير إلى مذهب البروتستانت الذي ظهر مع بداية القرن السادس عشر على يد مارتن لوثر الألماني، فهذا المذهب ينظر للمسيح مثلما تنظر إليه المذاهب الأخرى، فهو إله أولاً، ويؤمن بالثالوث والأقانيم، والاختلافات بينه وبين المذاهب الأخرى في الجزئيات مثل عدم تقديس مريم، وعدم الإيمان بالعشاء الرباني، وإباحة الزواج للرهبان وغيرها من الأمور الفرعية.

كيف حاور القرآن الكريم اتباع المسيحية؟

تناولنا في فصول سابقة المقارنة بين القرآن الكريم والأناجيل فيما يتعلق بولادة المسيح عليه السلام وقضية صلبه ومسألة البشرية والألوهية وبيّنا أن أتباع المسيحية جاؤوا بعقيدة جديدة مختلفة تماماً عما جاء به المسيح عليه السلام.

وسنحاول في هذا الفصل العودة إلى آيات القرآن الكريم التي حوت الحوار العقلي الموضوعي مع أتباع المسيحية حول المسيح وألوهيته المزعومة وما يتعلق بحياته المرتبطة بأمور العقيدة.

وفي هذا الإطار لا بد أن نضع عدداً من الأسئلة التي لا بد من الإجابة عنها.

1. من هو المسيح؟
2. لماذا تناول القرآن الكريم المسيح بشكل مفصّل ولماذا كررت السورة ذكره في العديد من المواقع القرآنية؟
3. كيف تناول القرآن الكريم تحريف العقيدة النصرانية وكيف رد على المحرفين؟
4. ما هي أوامر الله سبحانه لنا في كيفية التعامل مع أتباع العقيدة النصرانية؟

(من هو المسيح؟)

يدعي الغربيون المسيحيون أن المسيح لهم وأنهم المكلفون بالدفاع عنه وعن ألوهيته المزعومة. وعبر القرون ظلوا يهاجمون الشرق الإسلامي إما على شكل غزوات كما فعلوا في الحروب الصليبية وإما على شكل هجوم فكري وعقدي شنه المستشرفون وكبار القادة والزعماء.

وحتى ننصف التاريخ وننصف مفهوم النبوة وننصف الجغرافيا البشرية عدنا إلى دراسة العقائد السابقة قبل الإسلام فأطلعنا على اليهودية والتوراتيين والمسيحية والإنجيليين وعدنا إلى التاريخ كما دوّنه المسيحيون الأوائل. فوجدنا أن كثيراً من الأساطير قد دخلت التاريخ والعقائد وشوهت حقائقه وحقائقها. ويبقى المصدر الصحيح الذي يسعفنا وهو القرآن الكريم ليرشدنا إلى التاريخ والعقائد وخاصة النبوات التي خصها الله سبحانه للمنطقة.

وعندما ندرس حياة أي نبي وعقيدته كما أوضحها القرآن الكريم ندرك أموراً لا يمكن أن نعثر عليها في أي مصدر آخر.

وبالنسبة للمسيح عليه السلام نرى الآيات القرآنية تعلمنا أن سلسلة الأنبياء ليست مشتتة إنما هي سلسلة مترابطة نسباً وعقيدة وحتى على مستوى الجغرافيا.

لقد ورد في القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرين نبياً مرسلاً وهؤلاء يرتبطون ببعضهم ارتباطاً وثيقاً.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فهذه الآية توضح أن الله سبحانه انتقى واصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، ونحن نعرف أن الآيات القرآنية الأخرى حددت عدداً من الأنبياء من ذرية النبي إبراهيم. ومن

(1) آل عمران، 33 – 34.

هؤلاء إسماعيل وإسحاق. ومن إسماعيل جاء محمد ﷺ ومن إسحاق جاء يعقوب ثم يوسف وتتابع الذرية حتى أننا نرى موسى وهارون وداود وسليمان من ذرية إبراهيم. ونرى المسيح من ذرية آل عمران من جهة مريم ومع ذلك فإن هذه الذرية بعضها من بعض فهي تعود بجذرها إلى إبراهيم وإبراهيم يعود إلى نوح فآدم.

وبالمحصلة فإن عيسى عليه السلام ومحمداً ﷺ يعودان إلى أصل واحد وإلى نبي واحد هو إبراهيم (عليه السلام).

فإذا كان إبراهيم هو الأصل وبقية الأنبياء من الفروع فإن ذلك يعني أن المسيح وغيره من الأنبياء هم من أبناء أصل واحد وهو الأصل النبوي العربي الذي بدأه إبراهيم عليه السلام. المسيح أولى بمحمد ﷺ ومحمد ﷺ أولى بالمسيح عليه السلام.

فالمسيح الذي جعلوه إلهاً ليس هو المسيح العربي الذي ينتسب إلى سلسلة الأنبياء. ولو أنهم أدركوا من هو المسيح ونسبه لاعترفوا بنبوة محمد ﷺ واعترفوا بأن جميع الأنبياء الذين بعثوا في المنطقة العربية لا يخرجون عن سلسلة النسب الإبراهيمي ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[3].

إذاً فنسب المسيح يتضح من خلال جده المدعو عمران وجدته زوجة عمران وأم مريم. ومن خلال الآيات الكريمة يتضح أن عمران رجل صالح وقد اصطفاه الله وذريته من ضمن من اصطفاهم حسب ما ورد في الآية الكريمة، فالمسيح النبي لم يكن إلا من سلسلة مصطفاة بدءاً من جده وجدته وأمه.

(1) آل عمران، الآية 35.
(2) آل عمران، الآية 36.
(3) آل عمران، الآية 42.

ولم يشر القرآن الكريم إلى كون عيسى عليه السلام من بني إسرائيل. إنما أشار إلى نبوته لبني إسرائيل. والغاية من ذلك ليس الحرص على النسب بقدر ما هو الحرص على النبوة والرسالة، فالله سبحانه يختار الأنبياء والرسل ليس على أساس النسب والأصل فحسب بل على أساس الاصطفاء النبوي والرسالي.

وحين ندرس تعاليم السيد المسيح عليه السلام ندرك أن النبع واحد بالنسبة لجميع الأنبياء والرسل. وهذا النبع رباني. يفيض على البشر بالتعاليم الإلهية الواحدة وهي الخير والسعادة في الدنيا والآخرة والطرق المستقيمة ومحاربة الشيطان وأعماله الدنيئة وحين تبشر الملائكة مريم بالمسيح تقول لها:

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1].

فمنذ البدء يحدد الله سبحانه من هو المسيح وما هي صفاته. فهو كلمة الله واسمه المسيح وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

ويقول تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]. فهذه أيضاً من صفاته التي سيكون عليها. يكلم الناس في المهد ويكلمهم وهو كبير وهو من الصالحين.

وبعد أن تعلم مريم من سيكون ابنها الذي ستلده من دون أب سيكون موقفها موقف الراضي المنشرح السعيد لحكم الله.

ومن ثم يبلّغ الله سبحانه عن طريق ملائكته مريم بأن ابنها سيعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وسيكون رسولاً إلى بني إسرائيل الذين انحرفوا عن دين الحق ويبلغها أن الله سيجري على يديه معجزات كخلقه للطير بإذن الله، وكذلك كشفائه لأصحاب الأمراض المستعصية كالبرص والكمه. ثم سيحيي بعض الموتى بإذن الله وسينبئ بني

(1) آل عمران، الآية 45.

(2) آل عمران، الآية 46.

إسرائيل بما يدخرون ويأكلون. وسيحل لهم ما كان قد حُرّم عليهم وسيعمل بالتوراة التي أنزلها الله وليس بما حرّفوه من أقوال وأحكام.

فهذه هي صفات المسيح التي حددها الله سلفاً قبل أن يأتي إلى هذه الدنيا. وهذا هو علم الله المسبق سبحانه وتعالى.

لقد حدد الله سبحانه ما سيكون عليه المسيح ﷺ. وقد منحه صفات وميزات عديدة تستلزم بسبب ما كان عليه الناس في زمنه والزمن الذي سيلحقه.

وعندما تحمل مريم بابنها المسيح ﷺ ندرك أن الناس وخاصة بني إسرائيل سوف لن ترحمها وسوف يتهمها الآخرون بالفاحشة. ولكن الله سبحانه أراد أمراً وإرادته لا تُرد على الرغم من أن مريم كبشر لم تكن تدرك إلا بمقياسها البشري لذلك خشيت من قومها وتخفّت واتخذت من دونهم حجاباً وراحت تبتعد عن قومها إلى أن أذن الله سبحانه بولادتها وعلى الرغم من يقينها بإرادة الله وقدرته وفعل المعجزة بولادة المسيح منها من دون أب إلا أنها عاشت التجربة بكل واقعية. وقعت في الخوف. ثم عانت ما عانت بسبب المخاض وعدم الكلام إلى أن ذهبت إلى أهلها. وأمام شيوخ بني إسرائيل لم تنطق بكلمة وتركت الأمر لمشيئة الله فنطق المسيح وهو في المهد. وأول كلمة قالها: إني عبد الله. حتى يدحض الظن والكذب والافتراء بأنه الله أو ابن الله.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[2].

فماذا في عبودية المسيح لله؟ إنها أشرف صفة يصف بها الله أحداً من خلقه.

(1) آل عمران، الآية 59.

(2) النساء، الآية 172.

نبيّ إلى بني إسرائيل:

عندما نعود إلى آيات القرآن الكريم نعرف أن بني إسرائيل كُلّفوا بإقامة دين التوحيد على يد أنبياء كُثُر فكان قد بعث الله فيهم موسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وختمهم بالمسيح عليه وعليهم السلام.

وعندما يحدد القرآن الكريم مهمة كل نبي يتحدث عن قومه الذين بُعث لهم. وكذلك فعل بالنسبة للمسيح عليه السلام. فهو نبي إلى بني إسرائيل أولاً وأخيراً.

ومن حكمة الله أنه سبحانه جمع في زمن واحد ثلاثة أنبياء بُعثوا لبني إسرائيل وهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام. وختم بهم النبوات في بني إسرائيل تمهيداً للرسالة الجديدة وهي رسالة سيدنا محمد ﷺ.

وقد تكرر القول في الآيات الكريمة لتؤكد ذلك. أي أنها تؤكد أن المسيح عليه السلام بعث لبني إسرائيل.

فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[3].

وهذه الآيات تدل دلالة قاطعة على أن المسيح عليه السلام بُعث لبني إسرائيل وذلك لأسباب كثيرة منها ما نستشفه من آيات القرآن الكريم. وهي بشكل مختصر انحراف بني إسرائيل عن عقيدة التوحيد وعن كتاب موسى عليه السلام وقتلهم الأنبياء بغير حق وتعاملهم السيئ مع الناس. والتشديد في بعض القضايا التي فرضوها على أنفسهم دون أمر من الله والأنبياء.

(1) آل عمران، الآية 49.
(2) الصف، الآية 6.
(3) المائدة، الآية 72.

وطالما أن المسيح (عليه السلام) بُعث لبني إسرائيل فإن عقيدته ليست تلك العقيدة العالمية على الرغم من وجود أكثر من مليار مسيحي على وجه الأرض. ومن الواضح أن ما انتشر من عقيدة أطلقوا عليها المسيحية ليست هي عقيدة المسيح إنما هي عقيدة من كتبوا الأناجيل وقد تبنّت أوروبا بعد قسطنطين في بداية القرن الرابع الميلادي هذه العقيدة التي تختلف عن عقيدة المسيح. وقد انتشرت بشكل أو بآخر حتى تبناها اليوم أكثر من مليار إنسان. إن تحديد المسيح (عليه السلام) في رسالته لبني إسرائيل يؤكد أن الرسالة الوحيدة التي أرادها الله عالمية وشمولية هي رسالة الإسلام. وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك في أكثر من موقع.

(علامات نبوة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم):

من الطبيعي أن الله سبحانه أيد كل نبي بمعجزات وعلامات تكون عوناً له على إقناع الناس بنبوته وصلته بالله سبحانه وتعالى. فقد أيد إبراهيم بمعجزة إنقاذه من النار، وأيد موسى بالعصا واليد البيضاء، وأيد عيسى (عليه السلام) بمعجزات خاصة به وتشير الآيات الكريمة إلى ذلك بالتفاصيل:

1. أيده الله بروح القدس.
2. آتاه الكتاب والحكمة وعلمه التوراة والإنجيل وأوحى إليه كما أوحى للنبيين.
3. أنزل الله عليه وعلى الحواريين مائدة من السماء.
4. أحيا الموتى بإذن الله وصنع ما يشبه الطير فصار طيراً بإذن الله وأشفى بعض الناس من أمراض مستعصية لا يمكن الشفاء منها إلا بإذن الله.

يقول تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1].

(1) البقرة، 87.

ومن المؤكد أن روح القدس هو جبريل (عليه السلام) وجبريل كبير ملائكة الله يُنزّل الوحي ويرافق الأنبياء ويؤيدهم أينما كانوا وحلّوا. وعندما يسخّر الله سبحانه جبريل عليه السلام لعلم ما، خاص بالنبوة والدعوة فإن ذلك يعني تأييداً بلا حدود.

وقد ادعى المسيحيون بعد البحث في ماهية الروح القدس أنه الأقنوم الثالث من أقانيم التثليث، حيث يقولون الآب والابن والروح القدس. وحسب ادعائهم فإن الروح القدس هو الواسطة النورانية بين الله وابنه المسيح حسب ما يزعمون.

وتَرِد في القرآن الكريم كلمة الله. فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[2].

ويقول تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾[3].

وكلمة الله التي ألقاها إلى مريم هي المسيح (عليه السلام). وترتبط بقدرة الله على أن يقول للشيء كن فيكون.فالمسيح لا يرتبط بأب ولا بعلاقة زوجية بين أمه ورجل. لذلك جاءت الكلمة أمراً مباشراً من الله كي تحمل مريم وتنجب من دون زواج. وهذا بحد ذاته معجزة فريدة في الخلق لا تشابهها معجزة أخرى. لقد خلق الله آدم من لا شيء أي لم يكن من أب أو أم: إنما خلقه الله من تراب. أما المسيح فكانت له أم حملت به بأمر من الله ومن دون ثمرة زواج.

(وحي الله لعيسى بن مريم):

أشار القرآن الكريم إلى وحي الله سبحانه للمسيح (عليه السلام) مثل ما أوحى لبقية الأنبياء فهو لا يختلف عن الأنبياء. فهو مصطفى للرسالة ومن يصطفيه الله للرسالة يوحي له بواسطة الروح القدس الأمين جبريل (عليه السلام).

(1) آل عمران، الآية 45.
(2) النساء، الآية 171.
(3) آل عمران، الآية 45.

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[3].

إذاً فالمسيح رسول ونبي مكلّف من الله برسالة وقد أُوحي له كما أوحي لغيره من الأنبياء وهذه إشارة إلى تتابع الرسالات والمهمات النبوية في تبليغ الدعوة وعقيدة التوحيد.

علاقة المسيح (عليه السلام) بالتوراة:

من خلال ما تقدم عرفنا أن المسيح (عليه السلام) بُعث لبني إسرائيل وكان كتاب التوراة الحقيقي كتاب بني إسرائيل الذي حوى كتاب النبي موسى (عليه السلام) وفيه عقيدة وتشريع وتاريخ، وحتى يكون المسيح حجة على بني إسرائيل فهّمه الله سبحانه التوراة كي تظهر نبوته لبني إسرائيل كاملة فيها كل ما يحتاجه من براهين على الرسالة.

وهكذا كل نبي يبعثه الله يُفهّمه الله سبحانه ما أنزل من كتب على الأنبياء قبله. وطالما مصدر هذه الكتب من عند الله. فهي تكمل بعضها بعضاً. فجاء الإنجيل ليكمل التوراة وجاء القرآن الكريم مصدقاً لما أنزل في التوراة والإنجيل.

يقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[5].

---

(1) النساء، الآية 163.

(2) المائدة، الآية 75.

(3) النساء، الآية 171.

(4) آل عمران، الآية 48.

(5) آل عمران، الآية 50.

وهذه الآيات الكريمة تدلنا على أن الله سبحانه أيّد دعوة المسيح (ﷺ) بحجة قوية لبني إسرائيل الذين حاولوا عدة مرات إحراجه بقصد إفشال دعوته. ولكن معرفته لتفاصيل أحكام التوراة أقام الحجّة عليهم وأسكتهم وحشرهم في مأزق لا يحسدون عليه. لقد كان المسيح (ﷺ) من بني إسرائيل وبُعث لبني إسرائيل وحفظ كتاب بني إسرائيل وعقيدته وأحكامه. فجاء مكملاً لدعوة أنبيائهم موسى وهارون وإلياس ومن ثم مكملاً لدعوة داود وسليمان. وممهداً لدعوة محمد عليه الصلاة والسلام.

لقد أقام المسيح أحكام التوراة وطبقها على بني إسرائيل وخاصة فيما يخص العقيدة والتشريع وخفف عنهم ما كانوا قد اصطنعوه من أحكام تخالف ما أمرهم الله به. لذلك قال تعالى ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[2].

ولو كان المسيح (ﷺ) كما يدعي اليهود من أنه غير نبي لما بيّن الله (بقدرة الله) معرفته لتفاصيل التوراة وأحكامها. وكان ذلك تأييداً له من الله سبحانه وتعالى.

ويبدو من خلال آيات القرآن الكريم أن ارتباطاً قوياً حاصلاً بين التوراة والإنجيل الذي أنزل على عيسى (ﷺ) يقول تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[3].

والواقع حين ننظر إلى الكتابين نرى أن التوراة تحوي تشريعات واسعة كما أنزلها الله سبحانه، بينما الإنجيل بشكل عام لا يحوي إلا القليل من التشريعات. وطالما أن المسيح (ﷺ) بُعث لبني إسرائيل فمن الطبيعي أن يخاطبهم بما عرفوه من تشريع توراتي ونعتقد أن المسيح (ﷺ) جادل بني إسرائيل بما عرفوه وحفظوه من تلك الأحكام ليكون كلامه حجة عليهم.

(1) آل عمران، الآية 50.
(2) آل عمران، الآية 93.
(3) المائدة، الآية 46.

لهذا السبب قام المسيحيون بدمج التوراة والإنجيل في كتاب واحد أطلقوا عليه الكتاب المقدس ظناً منهم أن التوراة لم تحرف وظناً منهم أن الأناجيل لم تحرف. وهما يكملان بعضهما بعضاً.

كيف بيّن القرآن الكريم عقيدة المسيح:

لقد ورد في القرآن الكريم عدد كبير من الآيات التي تصرح بعقيدة المسيح التوحيدية. وهي تنفي ألوهيته أو بنوّته لله سبحانه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[3].

ثم يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[5].

ويقول تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.﴾[6].

فهذه الآيات يتكرر فيها قوله سبحانه على لسان المسيح إنّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا التكرار لا يأتي عبثاً إنما يأتي لينبه جميع من قالوا بألوهية المسيح بأن المسيح عبد الله كما هم عبيد الله. فالله واحد وهو رب المسيح ربهم أجمعين فكيف يكذبون ويقولون عن المسيح بأنه الله؟.

---

(1) آل عمران، الآية 51.

(2) مريم، الآية 36.

(3) مريم، الآية 30.

(4) مريم، الآية 35.

(5) المائدة، الآية 72.

(6) المائدة، الآية 117.

ويخاطب الله سبحانه الذين تبنوا المسيحية عقيدة بأن يكفّوا عن ضلالهم وانحرافهم عن عقيدة التوحيد. فقال عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1].

لقد ابتدعوا عقيدة التثليث وشذوا عن عقيدة التوحيد وأمرهم الله أن ينتهوا من هذا الضلال وهذا الإشراك، فالله واحد منزه عن أن يكون له ولد أو كما يطلقون عليه أقنوماً وما شابه ذلك من تلك التسميات التي أخذوها عن العقائد الوثنية وطبقوها في عقيدتهم. وقد وصف سبحانه من قال بأن المسيح إله بالكفر والإشراك.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[3].

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4].

فهذا الحوار الذي سيتم ما بين الله سبحانه ونبيه المسيح يدين هؤلاء الذين كفروا وقالوا بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله. وقد ادّعوا في أناجيلهم المؤلفة أن المسيح قال عن نفسه إنه إله أو ابن إله وفسّروا بعض الجمل الإنجيلية تفسيراً منحرفاً خاطئاً أوقعهم بالكفر.

(1) النساء، 171 – 172.

(2) المائدة 17 و72.

(3) المائدة، الآية 73.

(4) المائدة، 116 – 118.

شهادة السموأل بن يحيى المغربي بنبوة المسيح:

ربما نرى شهادات من كبار أحبار اليهود الذين أسلموا وألفوا كتباً في الرد على اليهود والمسيحيين وخاصة في ما يتعلق بألوهيته المزعومة. ومن هؤلاء الحبر اليهودي الذي اسلم السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، فعلى الرغم من وقوعه في بعض الأخطاء التاريخية إلا أنه جادل اليهود والنصارى وأثبت لهم الكثير مما يخفونه حول المسيح ورسالته.

يقول في إحدى صفحات كتابه: نقول لهم أليس في التوراة التي في أيديكم (لوباسور شبيط ميهودا ومحو قيق بين وعلاو) وتفسيره لا يزول الملك من آل يهود أو الراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح. فلا يقدرون على جحده. فنقول لهم أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح. ثم انقضى ملككم؟ فإن لم يكن لكم اليوم ملك فقد لزمكم في التوراة أن المسيح قد أرسل. وأيضاً فإنا نقول أليس منذ بعث المسيح (عليه السلام) استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس وانقضت دولتهم وتفرق شملهم ولا يقدرون على جحد ذلك إلا بالبهتان. ويلزمهم على أصلهم الذي في التوراة أن عيسى ابن مريم هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه.

ونقول لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم. فيقولون ولد يوسف النجار سفاحاً. كان قد عرف اسم الله الأعظم فسخر به كثيراً من الأشياء فنقول لهم: أليس عندكم في أصح نقلكم أن موسى (عليه السلام) قد أطلعه الله على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً وبه شق البحر وعمل المعجزات. فلا يقدرون على إنكار ذلك. فنقول لهم فإذا كان موسى أيضاً قد عمل المعجزات بأسماء الله فلم صدقتم نبوته وكذّبتم نبوّة عيسى.

فيقولون: لأن الله تعالى علّم موسى الأسماء وعيسى لم يتعلمها من الوحي ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس. فنقول لهم فإذا كان الأمر الذي توصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختص الله به ولا يريد تعليمه إياه فبأي شيء حاز تصديق

موسى. فيقولون لأنه أخذها عن ربه فنقول: فبأي شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه. فيقولون بما تواتر من أخبار أسلافنا. وأيضاً فإنا نُلجئهم إلى نقل أسلافهم فإنا نقول لهم. بماذا عرفتم نبوة موسى فإن قال بما علمه من معجزات. ليس هذا لعمري طريقاً إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام باقية من بعدهم كل جيل وجيل فيؤمنوا به. وليس ذلك بواجب إذا اشتهر النبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره، ووصل خبره إلى أهل عصر آخر. وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن التواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم في هذا الأمر متساوون، ولعل تواتر الشهادات بنبوّة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ليست إلا بسبب كتابيهما شهدا له بذلك. فتصديقهم بنبوة موسى فرع على تصديقهم بكتابيهم.

ويرد السموأل على ادعاءات اليهود حول المسيح واتهامه بما لا يليق به. فيقول (هم يزعمون أن المسيح كان من العلماء لا من الأنبياء وأنه كان يطيّب المرضى بالأدوية ويوهمهم أن الانتفاع إنما حصل له بدعائه وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم في يوم السبت. فأنكرت عليه اليهود ذلك فقال لهم أخبروني عن الشاة من الغنم إذا وقع في البئر يوم السبت أما تنزلون إليه وتحلون السبت لتخليصه؟ قالوا بلى. قال فلِم أحللتم السبت لتخليص الغنم ولا تحلو بها لتخليص الإنسان الذي هو أكبر حرمة من الغنم فأفحمهم ولم يؤمنوا.

وأيضاً فإنهم يحكون عنه أنه كان مع قوم من تلاميذه في جبل، لم يحضرهم الطعام فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت فأنكرت عليه اليهود قطع الحشيش في يوم السبت فقال لهم أرايتم لو أن أحدكم لو كان وحيداً مع قوم على غير ملته وأمروه بقطع النبات في يوم السبت وإلقائه لدوابهم لا ليقصدوا بذلك

كسر السبت تجيزون له قطع النبات. قالوا بلى، قال فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات ليأكلوه وليتغذوا به لا للطعن في أمر السبت. كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لا ينطبع فيها النسخ ولئن كان ما يحكمونه من ذلك صحيحاً فلعله كان في ابتداء ظهور أمر المسيح (عليه السلام)[1].

هل للمسيح أبناء وأحفاد وسلالة لاحقة؟

منذ سنوات شاعت بعض الكتب التي تقول إن المسيح قد تزوج وأنجب أبناء والأبناء أنجبوا وتكاثروا وما يزال نسل المسيح موجوداً. وقد أثارت هذه المشكلة وما تزال تثير العديد من الأسئلة والجدل في الأوساط المسيحية. وبدأت تثير جدلاً ما في الأوساط الإسلامية.

ولعل من أهم الكتب التي تناولت جوانب عديدة من هذه المقولة كتاب بعنوان الإرث المسيحي وقد شارك في تأليفه ثلاثة من كبار الباحثين المختصين بمثل هذه الجوانب الدينية التاريخية، وهم ريتشاردلي. ومايكل وبجنت وهنري لنكولن، ثم قام الأخير بتأليف كتاب بعنوان المكان المقدس وتناول فيه قصة أمكنة مسيحية قديمة في قرية فرنسية تدعى رين لي شاتو وقال الكاتب أن أحفاد المسيح سكنوا في هذه القرية وقد أطلق بعض الباحثين اسم الميروفيين على سلالة المسيح (عليه السلام).

ثم جاء كتاب آخر بعنوان سلالة يسوع من تأليف وترجمة الدكتور سهيل زكار.

ولعل أخطر ما كتب حول هذه القصة ما جاء في مقدمة كتاب الإرث المسيحي. حيث جاء فيها التالي: في عام 1982 توّج نحو 12 عاماً من البحث في لغز محلي صغير في جنوب فرنسا بنشر كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة) بيرنجر سونير كاهن غامض في منطقة (لانغروق) في أواخر القرن التاسع عشر أرشدنا على نحو غير مباشر إلى

(1) السموأل بن يحيى المغربي / غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. مخطوط.

الحجارة التي كان لا بد لنا من دراستها لكي نعرف النمط الذي يبطّن قصته المحيرة لقد قادنا إلى المجتمع السري أو شبه السري الذي قد تعود أصوله إلى أكثر من ألف عام تقريباً. إنه دير صهيون الذي ضم بين صفوف أعضائه عدداً من الشخصيات الشهيرة التي استمر نشاطها في فرنسا وربما في أماكن أخرى حتى يومنا هذا. الهدف الذي تعهده دير صهيون هو إعادة السلالة الميروفية الحديثة إلى عرض فرنسا. تلك السلالة التي اختفت من التاريخ قبل أكثر من ألف وثلاثمئة عام. يبدو أن هذا غير مفهوم. ما الشيء الذي قد يكون خاصاً جداً بالسلالة الميروفية. وهل إعادتها يجب أن تحظى باهتمام رجال مثل ليوناردو دافينشي وفيكتور هوغو ومؤخراً رجال مثل أندريه مالرو والمارشال الفونس جون وربما تشارلز ديغول.

جواب جزئي ولكنه حاسم عن هذا السؤال ظهر عندما اكتشفنا أن الميرفيين أنفسهم ادعوا انحدارهم المباشر من العائلة القديمة للنبي داود التي ورد ذكرها في العهد القديم وان ذلك المطلب اعترف بصحته من السلالة التي خلعتهم وتآمرت عليهم سلالة من الملوك الآخرين وكذلك الكنيسة الرومانية في ذلك الوقت. وتدريجياً بدأت الأدلة تجمع نفسها كأنها تملك زخمها الخاص. قادتنا تلك الأدلة إلى الحقل المميز من أدب الكتاب المقدس ودفعتنا لاقتراح فرضية استفزازية مفادها أن السيد المسيح كان الملك الشرعي لإسرائيل وأنه كان متزوجاً وأباً لأطفال وأن أولئك الأطفال أدامو سلالته حتى فترة طويلة تبلغ نحو ثلاثة قرون ونصف إلى أن اندمجت بالسلالة الميروفية في فرنسا[1].

وقد راجت في أوروبا بعض الكتابات ترى أن المسيح لم يكن نبياً ولا إلهاً ولا ابن إله. إنما هو ثائر يهودي غير ناجح قام أتباعه بإزالة جسده من قبره. وقد قالت هذه الكتابات بأن هناك فرقاً شاسعاً بين المسيح التاريخي والمسيح الديني

(1) مقدمة كتاب الإرث المسيحي ص 15.

وتـرى أن الأناجيـل هـي وثائق ذات بسـاطة واضحـة وأسـطورية وتصدر عالمـاً مجرداً من بعض الأساسيات الجوهرية[1].

على كل لن نورد تلك الآراء والكتابات التي تَقْلب الكثير من المفاهيم التي تسود في أوساط المسيحيين واليهود. ولكننا سنناقش المسالة الأهم وهي هل المسيح تزوج وأنجب وهل كان ملكاً ولم يكن نبياً؟. وتسعفنا آيات القرآن الكريم في ذلك وكذلك ما كتب وألف من أناجيل على يد متى ومرقص ولوقا ويوحنا وبرنابا وغيرهما.

1) عندما نراجع كافة الآيات القرآنية في القرآن الكريم لا نعثر على أية إشارة حول زواج المسيح أو إنجابه ولو كان له ولد أو زوجة لربما جاء على ذكر ذلك القرآن الكريم. لقد تحدث الله عن موسى وأهله وإبراهيم وأولاده وزوجته وعن داود وابنه سليمان وعن زكريا وابنه وعن نوح وابنه.

نرى مثلاً أن القرآن الكريم لم يتحدث عن ابن للرسول محمد ﷺ. لقد تحدث القرآن الكريم عن زوجات النبي وعن آل بيته.

وتحدث القرآن الكريم عن امرأة عمران وهي أم مريم والدة السيد المسيح. ولكن لم تأت إشارة واحدة إلى أن المسيح كان متزوجاً أو أنه أنجب أبناءً.

علـى أيـة حـال فـإن سـيرة السـيد المسـيح فـي القـرآن الكريـم تُركـز علـى معجـزة ولادتـه مـن دون أب ثـم علـى تأكيـده علـى وحدانيـة اللـه – إن اللـه ربـي وربكـم – ثـم علـى نبوتـه وعلـى عـدم صلبـه وعلـى موقـف اليهـود الفاسـد معـه. وعلـى رفعـه ومنزلتـه ثـم علـى تبشـيرة بالنبـي القـادم محمـد ﷺ. وهـذا مـا يهمنـا كمؤمنيـن برسـالة السـيد المسـيح ونبوتـه. وأعتقـد أنـه لا يهمنـا لا مـن قريـب ولا من بعيد زواجه أو إنجابه أولاداً وأحفاداً.

(1) كتاب الإرث المسيحي صفحة 25 – 26.

2) لقد بعث الله لبني إسرائيل ثلاثة أنبياء في وقت واحد. زكريا ويحيى والمسيح عليهم السلام جميعاً. ونلاحظ من خلال سورتي آل عمران ومريم الأمور التالية:

1. زكريا كان رجلاً كبيراً في السن ولم ينجب أولاداً وامرأته كانت عاقراً. وبقدرة الله ومعجزته حملت امرأته بيحيى ليحمل الرسالة من بعد أبيه.
2. أجرى الله معجزة لمريم فحملت بأمر الله من دون أن تتزوج. فليس لها زوج ولم تخالط الرجال لأن الله حصّنها واصطفاها لمهمة إنجاب النبي المسيح آخر نبي لبني إسرائيل.
3. يُقتل النبي يحيى دون أن يتزوج أو ينجب أولاداً وقد أشارت إلى ذلك مصادر التراث المسيحي والأناجيل. ثم يقتل النبي زكريا حسب تلك المصادر. ويبقى المسيح إلى أن حاول اليهود قتله، ورفعه إلى السماء ليكرمه ويسيئ وجوه اليهود الفاسدين القاتلين.
4. منذ رفع المسيح لم يأت نبي قط من بني إسرائيل ولا من غيرهم إلى أن بُعث النبي محمد ﷺ، بمعنى أن الرسالة انقطعت عن بني إسرائيل نهائياً وأصبح العالم ينتظر قدوم النبي المنتظر الذي تعم رسالته ويكون رحمة للعالمين.
5. مع رفع المسيح (ﷺ) أشكلت على تلاميذه عدة أمور بسبب صلب يهوذا الواشي وبسبب ما أشاعه اليهود من أنهم قتلوا وصلبوا السيد المسيح وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً.
6. رافق المسيح عدد من التلاميذ الأوائل ولم يشر أحد منهم إلى زواجه وإنجابه، وإذا كان كما يدعى بعضهم من أنه تزوج في السر وأنجب فما الذي عرّف الباحثين أنه تزوج فإذا كان معاصروه لم يشهدوا بذلك فكيف نصدق من لم يعاصره أو لم يشهد حياته؟.

لماذا اخترعوا قصة زواج المسيح وإنجابه؟

بالعودة إلى ما كتب حول زواج المسيح وإنجابه نرى أن الباحثين يركزون على سلالة يسوعية ملكية تمركزت في فرنسا. ويقولون إنه تزوج من مريم المجدلية وأنجب منها.

بعض الأقوال ترى أن مريم المجدلية كانت تمتهن البغاء فهي زانية بالحرفة، ويقولون إن المسيح دافع عنها في مواجهة زعماء اليهود الذين أرادوا رجمها وأنقذها من هذه العقوبة ثم تابت وتزوجته وأنجبت منه.

وبالعودة إلى حقائق المسالة نرى أن مريم المجدلية كانت رفيقة لأم المسيح تكبر المسيح بسنين طويلة، فإذا كان المسيح يريد أن يتزوج فلماذا لا يتزوج من فتاة تناسبه بالعمر والمكانة؟ ثم لماذا يختار زانية لتكون زوجة له. ثم كيف كانت تزني ولا تحمل من الزنى وعندما تزوجت من المسيح أنجبت؟ كيف يتم كل ذلك؟ وكيف يقبل العقل هذه الأمور دون تحليل للتاريخ والشخصيات؟.

ألا نرى أن كل ذلك من تلفيقات اليهود الذين اتهموا مريم بالزنى وأطلقوا على المسيح في تلمودهم ابن الحرام. ألا نرى أنهم قالوا ذلك ليقولوا أخيراً أن سلالة يسوع لم تكن سوى سلالة أولاد حرام من نساء ورجال؟.

ومن ناحية أخرى قد تكون الادعاءات والتلفيقات حول سلالة يسوع تريد أن تقول إن الميروفيين الفرنسيين من سلالة ملوك، ومن حقها أن تحكم فرنسا وتدافع عن ملكيتها ضد من استولوا على الحكم.

ربما نفترض أسئلة أخرى في هذا السياق. على سبيل المثال: ما الذي دفع سلالة يسوع للذهاب إلى فرنسا تحديداً. لماذا لم تذهب هذه السلالة مثلاً إلى سوريا أو العراق أو مصر. الم تجد سوى فرنسا لتكون بلدها الذي تستقر فيه؟ وما علاقة هذه السلالة بأرض فرنسا لتطالب بالملكية فيها. هل من حث هذه السلالة

الملكيـة أن تطالـب ببلـد ليـس لهـا وأرض ليس لهـا. وإذا عدنا وقلنا إن سـلالة يسـوع المفترضـة بالمحصلـة هـي سـلالة من بنـي إسـرائيل وبنو إسـرائيل ليس لهـم موطن جغرافـي، فهـم فـي أساسـه بدو رُحّـل جـاؤوا من سـيناء وتسـربوا إلى فلسـطين حين كانت عامرة بأهلها ومدنها وقراها.

ويبدو أن الحس الاستعماري الجوهري لحق من لفقوا هذه الأكاذيب والمخترعات التي دسها إما اليهود وإما فرنسيون أو غربيون بشكل عام ليقلبوا مهمة المسيح الدعوية النبوية إلى مهمة استعمارية احتلالية تريد أن تحتل بلاداً ليس لها.

خاتمة

المسيح (عليه السلام) نبي مرسل مثله كمثل بقية الأنبياء بعثه الله لقومه ليهديهم طريق الحق بعد أن زاغوا وانحرفوا، ومثله مثل آدم خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون.

لقد تآمر اليهود على دين المسيح وخلقوا عقيدة وثنية واستطاعوا أن يضللوا جموع الناس فادعوا منذ البداية أنهم صلبوا المسيح وقتلوه وهم كاذبون ملفقون وادعوا ألوهيته وما هو بإله، وجلب ادعاؤهم الويلات على الملايين من البشر حين جعلوهم يؤلهون إنساناً ويعيدونهم إلى عصور الوثنية والجاهلية.

ماذا يختلف المسيح عن غيره من الأنبياء، إنه بشر يأكل ويشرب ويقضي حاجته ينام ويستيقظ يمشي ويتوقف بمرض ويشفى، وتنطبق عليه قوانين المخلوقات في الحياة والموت، وقد أراد الله سبحانه أن يكون المسيح معجزة في خلقه من دون أب، وكذلك خلق الله آدم من دون أب أو أم، والله سبحانه كلّي القدرة يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء.

وإذا كان قد أجرى على يديه بعض المعجزات فإن لكل نبي حظّه من معجزات الله وذلك لتثبيت دعوته وحجّته على الكافرين والمشكّكين بقدرة الله عز وجل.

لقد ظنّ المسيحيون المخدوعين أن قدرة المسيح هي قدرة إلهية، فقد أحيا الموتى وأشفى المرضى وصنع من الطين كهيئة الطير فأصبح طيراً، وتناسوا أن موسى (عليه السلام) القى عصاه فإذا هي حية حقيقية تسعى وتناسوا معجزة يده التي أخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء يشع منها النور، وتناسوا كيف أن الجبال والطير تسبح الله مع داود (عليه السلام)

وتناسوا كيف سخّر الله الريح والجنّ لسليمان، وتناسوا معجزة الإسراء والمعراج التي أجراها الله لنبيه محمد (ﷺ).

وإذا كانت الأناجيل قد قالت إن المسيح ابن الله فإن كل خلق الله هم عيال الله بالمعنى المجازي، لكنهم أدخلوا فلسفة وثنية غريبة فصنعوا التثليث وربطوا بين الله عز وجل والمسيح بما يسمى الروح القدس، وما هذا الروح القدس حسب نظرتهم إلا شخصية غامضة لا أحد، يعرف ما هي ولا ماهيتها، هل هي واسطة نورانية بين الله والبشر، أم هي شيء منفصل عن الله والمسيح، أم هي صورة أخرى لله عز وجل، أم أن الله سبحانه يتوالد إلهاً آخر كما يتصور الهندوس حينما قالوا إن الله براهما قد انبثق عنه سيفا وفشنو إلهاً للحرب والدمار وإلهاً للحياة والخير، في أناجيلهم لم يقل المسيح عن نفسه أنه إله فكيف اعتبروه إلهاً، وفي أناجيلهم يدعون أنه عندما صلب وقبل أن تفيض روحه قال: إلهي إلهي لماذا تركتني، فإذا كان المسيح إلهاً هل يعقل أن يقول هذه الجملة وروحه تصعد أو تكاد أن تخرج من جسده؟.

لقد نزل القرآن المجيد على قلب رسول الله (ﷺ)، ليفنّد مزاعم هؤلاء الذين ادعوا صلب المسيح وقتله وتأليهه، وفنّد مزاعم التثليث التي ابتدعوها، ولو عدنا إلى القرآن الكريم وقرأنا الآيات الكثيرة عن مريم والمسيح عليهما السلام لأدركنا تماماً أن أكبر فتنة أرادها اليهود للبشرية هي فتنة المسيح وما لفقوه في عقيدته وحياته ومصيره.

إننا أخيراً نرى أن العاقل الذي يحكم ذوق العقل وصفاءه يرفض تلك الخزعبلات والأوهام، وعلى العاقلين أن يعودوا لعقيدة التوحيد قبل أن يفوت الأوان، وقبل أن يقفوا بين يدي الله فيحاسبوا حساباً عسيراً.

انتهى بعون الله

يوم 2012/2/18

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، مجلد الجليل.
4. د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ.
5. روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات.
6. جيمس كابور، سلالة يسوع، دار قتيبة، ترجمة سهيل زكار، دمشق 2008.
7. ريتشارد بيجنت، الإرث المسيحي، دار سفحات، دمشق 2009.
8. ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء 2.
9. أحمد الجندي، عيسى بشر رسول وليس إلهاً، دار الإيمان، القاهرة، دون ت.
10. عبد المنعم جبري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسيح، دار صفحات، دمشق.
11. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، دمشق.
12. إنجيل برنابا.
13. الدكتور حسن الباش، إنجيل برنابا يبعث من جديد، 2008، بيروت.
14. دانييل ياسوك، المسيحية وأساطير التجسد، ت. سعد رستم، دار صفحات، دمشق.
15. أوغسطين دوبريه، دراسة في الإسكاتولوجيا، (الموت والقيامة)، دار الشرق، بيروت.
16. غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، جمعية الدعوة، ليبيا.
17. ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار قتيبة، 2007.
18. روماني فاروق، المسيح الدجال، ط أولى 1988، القاهرة.
19. ابن كثير، الفتن والملاحم.
20. د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام.

مختصرة سيرة ذاتية

1. حسن الباش، مواليد فلسطين طيرة حيفا، 22 تشرين الثاني 1947.
2. حائز على ليسانس في اللغة العربية، جامعة دمشق 1973.
3. حائز على رجة الماجيستير في مقارنة الأديان، جامعة الدراسات الإسلامية، القاهرة، 2001.
4. حائزة على درجة الدكتوراه في مقارنة الأديان، جامعة الدراسات الإسلامية، القاهرة، 2003.
5. حائز على جائزة القدس العربية، اتحاد الكتاب والأدباء العرب، 2004، اليمن.
6. باحث متخصص في مقارنة الأديان وتاريخ فلسطين.
7. أستاذ مقارنة الأديان في كلية الدعوة الإسلامية، فرع دمشق منذ عام 2000.
8. عشرات المؤلفات في مقارنة الأديان وتاريخ القدس، والقضايا الفكرية والسياسية المعاصرة.
9. عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.
10. عضو اتحاد الكتاب العرب، جمعية الدراسات والبحوث.
11. شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والعربية.

الفهرس

مقدمة..... 5

الفصل الأول

فلسطين أيام ولادة المسيح..... 13

عائلة المسيح (عليه السلام): 17

وقفة أولى مع المقدمات: 19

من لطائف التنبيهات القرآنية: 27

زكريا ويحيى في الأناجيل:..... 27

الفصل الثاني

ولادة المسيح بين القرآن والأناجيل 33

ولادة المسيح في النص الإنجيلي: 34

ولادة المسيح في الأناجيل تحت المجهر: 36

لنر تسلسل قصة ولادة المسيح في القرآن الكريم: 39

الخلاف بين رواية الأناجيل والقرآن الكريم حول ولادة المسيح (عليه السلام):..... 41

رواية متى عن المجوس الذين أتوا إلى بيت لحم: 43

هل ظل المسيح يتكلم في المهد؟:..... 45

الفصل الثالث

عقيدة المسيح بين القرآن والأناجيل..... 47

مناقشة الأناجيل في عقيدة المسيح:..... 51

التناقض في عبارات الأناجيل:..... 56

نهاية المسيح على الأرض بين القرآن والأناجيل:..... 58
ماذا تقول الأناجيل الأربعة: 62
السند المنقطع في الأناجيل:..... 65
من كان شاهداً على صلب المسيح ونهايته على الأرض؟:..... 66
المسيح بشر ونبي بشهادة الأناجيل: 69
المعجزات والنبوة: 71
نبوة المسيح في القرآن الكريم:..... 74

الفصل الرابع

المؤثرات في العقيدة المسيحية 79
عقيدة التثليث: 80
التثليث في المسيحية:..... 83
مفهوم الفداء والصلب:..... 86
ما حدث عند صلب المسيح المزعوم: 87
مريم العذراء والدة الإله يسوع المزعوم:..... 89

الفصل الخامس

ألوهية المسيح المزعومة 93
لماذا قال المسيحيون بألوهية المسيح؟:..... 93
الألوهية والتجسد والأسطورة:..... 97

الفصل السادس

عودة المسيح إلى الأرض 105
عودة المسيح في الرؤية البروتستانتية:..... 107
عودة المسيح في نظر اليهود:..... 109
عودة المسيح في الرؤية الإسلامية: 110
ماذا يقال عن المسيح الدجال؟:..... 112
المسيح الدجال في الرؤية الإسلامية: 114

الفصل السابع

مريم والمسيح في نظر المذاهب المسيحية 117
الفرق الأولى التي انحرفت عن عقيدة التوحيد: 119
فرق التوحيد المسيحية: 121
المسيحية الغربية ومسؤولية التحريف نحو الوثنية: 122
نظرة المذاهب المسيحية المعاصرة للمسيح: 123
كيف حاور القرآن الكريم اتباع المسيحية؟ 125
(من هو المسيح؟) 126
نبيّ إلى بني إسرائيل: 130
(علامات نبوة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم): 131
(وحي الله لعيسى بن مريم): 132
علاقة المسيح عليه السلام بالتوراة: 133
كيف بيّن القرآن الكريم عقيدة المسيح: 135
شهادة السموأل بن يحيى المغربي بنبوة المسيح: 137
هل للمسيح أبناء وأحفاد وسلالة لاحقة؟ 139
لماذا اخترعوا قصة زواج المسيح وإنجابه؟ 143

خاتمة 145

المصادر والمراجع 147